عناقيد من كرمة ابن هانئ



شعر
د. شوقي [illegible]

الدار المصرية
الإسكندرية ت ، ٥٠٣٤١٥٠

عناقيد من كرمة ابن هانئ

شعر

فــوزى أمـيــن

الدار المصرية
للنشر والتوزيع

• اسم الكتاب : عناقيد من كرمة ابن هانئ

• اسم المؤلف : فــوزى أميــن

• النــاشـــر : الدار المصرية للنشر والتوزيع

الإسكندرية : ت / ٠٥٠٣٤١٥٠ -٠٣

• الطبعة الأولى ٢٠٠٤م



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الديوان

بقلم : الأستاذ الدكتور / **فوزى عيسى**

أستاذ الأدب العربى بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية

الشاعر الدكتور فوزى أمين واحد من أبرز الأصوات الشعرية وأكثرها توهجًا ونضارة في شعرنا المعاصر. وهو أحد الفرسان القلائل المبرزين الذين يصولون ويجولون في مضمار القصيدة العمودية، فهو فارسها المعلم الذى وسمها بميسمه، ومنحها اسمه، ونفخ فيها من روحه ورحيق وجدانه، ورفدها بعناصر الحداثة والمعاصرة.

ويكشف هذا الديوان عن تجربة فنية فريدة نسجت تفاصيلها ملكة الشاعر المبدع، وشكلها خياله الخلاق، وذلك باستدعاء التجربة النواسية بكل عناصرها وشخوصها وأماكنها، وهى أكثر التجارب ثراءً وامتلاءً وجذبًا للمبدع، ولم يقف شاعرنا من التجربة موقف الناقل أو السارد أو الشارح بل أعاد إنتاجها وفق رؤية تفسيرية جديدة.

إن الشاعر منذ الإهلال الأول يهدى إلى القارئ المفاتيح

الذهبية للولـوج إلى عالمه الشـعرى الثرى، ويعكـس مـن خـلال خطابـه الاسـتفتاحى للنواسـى الغـالب الحـاضر خصـائص خطابـه الجمالى الذى يتوحـد فيـه بالنواسـى توحـدًا تامًا بحيـث لا يمكـن التفريـق بـين الأصـل والصـورة، فقـد ذاب الشـاعران وانصهـرا وتوحدا فى هيئة واحدة فلا ندرى من منهما يلبس قنـاع الآخـر، وأيهما السابق واللاحق، وهـل همـا صوتـان شـعريان أم صـوت واحد يخترق حاجزىْ الزمان والمكان، فكلاهما ينتمـى إلى كرمـة واحدة، وكلاهما صدى لصاحبه، وكلاهما ينهل من المنهل ذاتـه ويرمـى بالسـهم ذاتـه .. وكلاهمـا ضحيـة الاغـتراب والضيـاع والخلل السياسى والاجتماعى والفكرى. يقول شاعرنا فى مفتتح الديوان مخاطبًا النواسى :

بأيِّنَـــا يُبْحِـــرُ الشـــراعُ

وأنت .. أو هـــل أنا القناعُ

ومن لـــه الوجـد والقوافى

ومن لـــه الطِّـــرسُ واليراع

وأيُّـنـــا ســـابـقٌ؟ وأىٌّ

له عـــلى دَرْبِـــه اتبـاعُ؟!

ونحن صوتان، أو ترانا

صوتٌ له في المدى اتساع؟!

أو أنها كرمة تنامت

وفي كلينا لها شعاع ؟

تقول لي.. أو أقول.. تُصْغِي

ولي على بُعدىَ استماعُ

ترمي .. وأرمي .. وما رمينا

لكنّما قد رمى الضياعُ

اختار الشاعر الدكتور فوزى أمين تجربة من أكثر التجارب امتلاء وتشبعًا، وهى التجربة النواسية معتمدًا على أسلوبية التناص فى أعمق تجلياتها وأكثرها اتساعًا، فقام بعملية استبطان للتجربة النواسية بشتى عناصرها وشخوصها وعوالمها ووظفها فى سياق نصوصه اللاحقة فتحقق التماهى والتوحد والانصهار بين التجربتين.

وتولّد من هذه العملية دلالات متجددة لا يمكن استكشافها فى النص النواسى وحده وأصبح لها حضور متميز فى النص المعاصر الجديد، فتحاورت النصوص وتولدت مفاهيم

وعلاقات ورؤى جديدة من خلال التواصل والقراءة المزدوجة للشاعرين.

لقد وجد الشاعر ضالته فى الشخصية النواسية لتعدد أبعادها وزواياها، ووجود تماس فكرى بين الشخصيتين.

إن أبا نواس يحضر هذا الحضور الكثيف لعدة اعتبارات، منها :

التمرد: فأبو نواس نموذج للشخصية الشعرية المتمردة على الواقع بكل مستوياته وأبعاده الأدبية والفكرية والاجتماعية والسياسية.

الثورة : وأبو نواس نموذج للشخصية الثائرة على التقاليد الفنية الموروثة والعادات التى توحى بالجهل والتخلف.

التجديد: وأبو نواس أحد الرواد المجددين فى شعرنا العربى، وقد تجلى ذلك فى دعوته إلى التجديد فى شكل القصيدة ومقدماتها ومضامينها.

وإذا كانت الروايات والخيال الشعبى قد وضع النواسى فى صورة الشاعر الماجن فهناك شخصية العالم المحدث وهى من الجوانب التى قد تكون خافية على الكثيرين.

ولشخصية أبـى نـواس -بالإضافـة إلى مـا تقـدم -أبعـاد أخرى، منها البعد الأسطورى والطابع الشعبى وقد لعـب الخيـال الشعبى دورًا كبيرًا فى تجسيد هذا الطابع الشعبى بما أضفاه علـى شخصه من روايات وحكايات تلفيقية.

وإلى جانب ذلك فقد اشتهر النواسى بالظرف والفكاهـة وخفة الروح.

هذه الصفات التى اكتسـبتها شـخصية النواسـى، تغـرى المبدع بمحاورتها وتجذبه إلى عالمها الرحـب.. وقـد جذبـت بعـض الشعراء المعاصرين، ومنهم أمل دنقل فى قصيدته "من أوراق أبى نواس". غير أن الدكتور فوزى أمين لم يقف عند الموقف العابر أو الطارئ، بل استبطن التجربة كلها بشـخوصها ورموزهـا وتمـاهى معها وأضـاف إليهـا أبعـادًا جديـدة، فقـدم رؤيـة جديـدة مغـايرة للشخصية النواسية ذات البعد الواحد وصحح ما أحاط بهـا مـن ظلم، فلم يقدم النواسى فى إطار الشخصية الماجنة العابثة اللاهيـة المستهترة بالقيم والأخلاق، وإنما رأى فى ذلك كله قناعًـا يخفـى وراءه شخصية أخرى تسترت بهذا القنا ع لتدرأ عن نفسها الزلل وتحتمى به من المخـاطر المحدقـة بـالمفكرين والمبدعـين أمـام بطـش

السلطة وجبروتها فى عصر كانت تهمة الزندقة جاهزة فيه لمن يقف من السلطة موقف الرفض أو المعارضة.

كان أبو نواس من وجهة نظر شاعرنا ضحية عصر اختلطت فيه القيم والمفاهيم، ولم يجد فيه النواسى مناصًا للهرب إلا بالخمر والتستر وراء قناع اللهو والمجون، فصار رمزًا يعكس أزمة المبدع المطارد بلا ذنب، والمتهم بلا جريرة، فلا يجد أمامه غير المداراة والمداجاة والاحتراس والتعمية فى القول نأيًا بنفسه عن بطش العسس، ويطرح الشاعر هذه الرؤية فى قصيدة (دارى سناها) إذ يقول :

دارى سناها لا يشعر العسسُ
فالأفقُ غيمٌ .. والأمر ملتبسُ
وأَلْغِزِى اللّفْظَ إن أدَرْتِ بنا
كُئوسَها .. فاللبيبُ يحترسُ؟!
فهيّن أن يقال: زندقةٌ
والناس مستضعف.. ومُخْتَلَسُ!!
ونحن قومٌ لم نأتِ فاحشةً
وهمنا من زماننا قبس!!

وقد تماهى الشاعر مع أبى نواس داخل إطار الصورة التى رسمها لشخصيته .. فعبَّر من خلاله عما ران على الواقع بكل أبعاده ومستوياته، وكشف عن تهافت الخطاب السائد على كافة الأصعدة، وعبَّر عن أزمة الذات واغترابها روحيًا وفكريًا، يقول فى قصيدة (فى البدء كانت الكرمة) :

أَنْضَيْتُ فى فَلَواتِ العَقْلِ راحِلَتى
وما التَهيتُ لَرَبْعٍ منه مَأْنوسِ
وعدتُ تركزنى فى السهد أسئلةٌ
لها على الليل قرعٌ كالنواقيس
من يُبْرِدُ القلبَ من نيران غُلَّته ؟!
ومن يردُّ حرابًا من وساويسى؟!

لا يستطيع القارئ أن يميز وهو يقرأ هذه النصوص بين صوت أبى نواس وصوت الشاعر المعاصر، فقد ذاب كلاهما فى الآخر، وصارا صوتًا واحدًا لا صوتين وانصهرا فى بوتقة الإبداع والحكمة والتمرد والرفض.

إن الديوان يكتنز برؤية عميقة تجاه القضايا الوجودية والمصيرية الكبرى، ويكشف عن رفض الذات لكل السلبيات وإدانتها للزيف والفساد، كما يكشف عن عشق خرافى للوطن

الذى يتجلى فى صور ورموز عديدة تتوزع بين العشق وانكسار الحلم ورفض التسلط والقهر.

وتؤدى البنية الرمزية دورًا فاعلاً فى تجسيد هذه الرؤية من خلال الإشارات والرموز التى تنفتح على فضاءات ميثولوجية وشعبية فياضة الدلالة :

وحشيَّةَ العينين، هل أَمَلٌ
ومُعَذِّبَاىَ، الأوبُ والسفرُ؟!
أبوابك المائةُ التى وقفت
صُمًّا .. عليها الحلم ينكسر
أتلينُ صخرتُها لمبتهلٍ
ما زال بالأشواق ينتظر

ويستعين الشاعر فى هذا السياق من خطاب العشق للوطن ببنية المواليا بدلالتها الشعبية العميقة، وفى صياغة تعبيرية فريدة تجعلنا نستحضر من خلالها صوت الفلاح المصرى الصميم الذى يعزف على نايه معزوفة العشق والشجن ويشكل نغماتها من عصارة روحه ونزف وجدانه.

إن الكَرْمَ فى إحدى تجلياتها تصبح هى الوطن البديل الذى يقاوم به الشاعر كل وجوه القهر والتسلط فى ظل مناخٍ

يموجُ بالتخليط والفساد، ويعانى من الانقلاب الهرمى للقيم والأخلاق، فلا يرتقى فيه غير الأذناب والجهلاء والأغبياء:

بالحظوظ تنقلبُ يا زمانُ .. ياعجبُ
الذُّيُولُ صاعدة والذّوَائِبُ الذّنَبُ
والغَبِيُّ صار له الصولجانُ والنشبُ
إن أتى له صخبٌ أو مضى له صَخَبُ

وفى ظل هذا المناخ الموبوء بالعى والفساد تلوح فكرة الوطن البديل .. "الكَرْم" .. لا كرم الحقيقة والمادة .. بل رمز التعالى على هذا الواقع والسمو على ما فيه من تخليط وجهامة وعدم تقدير للإبداع والمبدعين :

كَرْمُنا لنا وطَنٌ من هِبَاتِه الشهبُ
السُّرُورُ ضَحْوَتُهُ والأصائل الطَّرَبُ
نمتطى بها زمنًا يُمْتَطَى به الأَدَبُ

الخمر فى الديوان ليست هى خمر المادة والحقيقة .. إن استدعاءها يرمز أساسًا إلى المعرفة الروحية الخالصة.

إن الشاعر يفرق بين نوعين من المعرفة .. معرفة تفضى إلى الدوران فى فلك الجمود والجهل والتشبث بالقشور وهو ما

يرفضه الشاعر .. ومعرفة أخرى متجددة ترمز إلى الخصب والنماء والتجدد وهو ما يؤمن به ويعتنقه مذهبًا:

وقالـــت الكَرْمُ لما صَـــحَّ إصغـــاءُ:
من أحرفـــى ألف الأسرار والياءُ

إن جَفَّتْ الأَحْرُفُ العَجْفَاءُ فى صُحُفٍ
فلى حُرُوفٌ على الأزْمَانِ خَضْرَاءُ

والمعرفة بهذا المفهوم هـى القبس النورانـى المضـىء والحكمة الخالدة .. إنها البدء والمنتهى :

مبـــاركٌ ذكرُهــــا .. فالهجْ بتَقْديسِ
فحرفُ حِكْمَتِهَا من لَوْحِ إِدْرِيـسِ

أدر ســلافك .. بالأفراح تَغْمُرُنِـــى
بـــالذُّلِّ تُبْدِلُنى زَهْـــوَ الطَّوَاويـــس

وعلى هذا يمكن توجيه رموز الخمر ودلالتها فى الديوان من خلال هذه الرؤية المعرفية المتجـددة التى تسرى فـى عـروق الشاعر كما تسرى الخمر، وتكشف له الحجب، وتجعل الشـمس تشرق من نشـوى أحاسيسه .. إنهـا ليسـت معرفة الكهـان ولا الدهاقنة ولا الشـماميس والقساوسة .. إنهـا الحكمـة الإلهيـة الخالدة التى تستمد حروفها من لوح إدريـس .. إنهـا معرفة مـن

روح وأعضاء وليست معرفة من أسكرتهم الأضاليل والأهواء، إنها ليست معرفة الصحف العجفاء والعقول البليدة بل هى معرفة من أسكرهم حب الذات الإلهية .. المعرفة الوجدانية .. الكشف:

مجدُ الحقيقةِ فينا .. ليس فى صُحُفِ
عن العقولِ البَلِيدَات الأمَاليسِ

فهاتها وأبلِنِى تاجَ مملكتى
واجمع شَتَات أثيرىٍّ ومحسوس

فى البدء كنتُ إذا فتشت عن خبرى
وكَرْمَةٌ .. كِلْمةٌ .. عُرْسى.. وتَعْرِيسى

وإذا كان النواسى قد تمرد على اللغة والقوالب الشكلية التقليدية وعلى الأعراب الذين جعلتهم الحضارة يستخشنون الحرير وهم ما زالوا على جلافتهم وبداوتهم، فكذلك صنعت الرؤية المعاصرة حين طرحت فى قصيدة (الهوى جبل) أزمة اللغة التى تجتر نفسها، والمسكوكات والكليشهات والصور الجاهزة التى لا تخرج عن عملية "الاجترار" وتفضى بالإبداع إلى ضرب من الجمود والتقولب، وتشيع فى القصيدة روح السخرية المرة ويعالج الشاعر فكرته فى صورة قد تبدو هزلية ولكنه الهزل الذى

يخفى وراءه الشعور بالصدمة أو الفجيعة لما آل إليه الفكر والإبداع العربى من تقولب وجمود ولننظر إلى هذه الحوارية التى تجسد الأزمة والفجيعة :

قل ما يَعِنُّ .. وسوفَ أتْبعُهُ
قولاً به ينمو ويكتملُ
إن قلتَ : قدٌّ.. قلتُ: معتدلٌ
أو قلتَ: طرفٌ .. قلت: مُكْتَحِلُ

وها هو الصوت المعاصر يجسد مرة أخرى أزمة الجمود والاجترار والتحجر :

سَلَبَتْ فؤادى .. قلتُ: فاتنةٌ
ومضى بعقلى .. قلت مُرْتَحِلُ
ليلى تقولُ؟ أقول لاهيةٌ
سحرٌ تقول؟ أقول : يَخْتَبِلُ
ووقَفْتُ أبكى : قلتُ: يا طَلَلُ
ما عدت أدرى أيُّنَا الطَّلَلُ

هذا هو ما آل إليه حال اللغة والفكر والإبداع، فلا حيلة لنا إلا أن نردد لغة من سبقونا وصورهم ومسكوكاتهم

التعبيرية لأنهم استوطنوا أجسادنا وعقولنا وظلوا يتلبسون بنا، فلا نحن تحررنا من أسر جمودنا ولا هم رحلوا عنا .. إنها لغة البداوة التى تجسدت فينا وتلبستنا ولم يعد لنا حول عنها .. فلم يزل نموذج عنترة يهيمن علينا فى الفروسية والشعر، ولم يزال قيس يتحكم فى تاريخ العشق والعشاق .. ويؤدى التعبير بالصورة الرمزية دورًا مؤثرًا فى تعميق الدلالة :

كنّا نرومُ لروحِنَا نَهَرًا   فيه من الأَدْرَانِ مُغْتَسَلُ
فإذا بنا نُفْضِى لآسِنةٍ   كم ذا عليها حوّمت إِبِلُ

ولم يزل الشاعر يومئ بالإشارات التناصية إلى أزمة اللغة كالإشارة إلى نموذج الأعشى مع هريرة بما يوحى به من ثبات، والإشارات إلى مفردات واقع البداوة كالخيمة والعرار والمياه الآسنة. هكذا يستبطن شاعرنا التجربة النواسية ويستحضر الشخصية النواسية ويتماهى معها فى ثورتها وتمردها ويتوحد معها حتى فى طريقة العرض وأسلوبية التعبير وخفة الروح والظرف والفكاهة والطابع الهزلى والسخرية الحادة.

ولا يتوقف التناص عند استبطان التجربة فى إطارها الكلىّ، بل إنه يحتوى التجربة بكل عناصرها وشخوصها وحتى أماكنها..

فقد استدعى الشاعر شخوص التجربة النواسية وخصّ كلاً منهم بقصيدة يعبر فيها عن رؤيته الخاصة، ويقدم فيها الشخصية في بعدها الواقعي من ناحية وفيما أسقطه عليها من رموز من ناحية أخرى .. فتطل جنان معشوقة أبي نواس ليرمز بها إلى الحب والمعرفة، يقول :

وجه "جنانٍ" إطلالة العيدِ

خطى "جِنَانٍ" مواسم الجودِ

عينا "جنانٍ" بستانٍ معرفة

في أيكهِ رفرفت أغاريدي

إن صورة "جنان" في الرؤية المعاصرة تكتسب أبعادًا ورموزًا جديدة، فشاعرنا والنواسي كلاهما يطمح إلى الحب المثالي والمعرفة الخالدة المتجددة، وقد تجسدت القيمتان "الحب والمعرفة" في شخصية "جنان" ولذلك تشكلت الصورة من عناصر معنوية مجردة .. فوجه جنان يفارق الأوصاف الحسية ويتلبس بالمعنوي . فهو إطلالة العيد بما تنبض به الصورة من دلالات البهجة والترقب، وما تكتسي به من ظلال دينية وروحية. أما عينا "جنان" فهما بستان المعرفة التي رفعت الشاعر إلى أعلى عليين، وحققت له البهجة والنشوة الروحية وسمت به

عن العالم المادى والواقع البغيض؛ ولذلك كان غيابها عن الشاعر يعنى غياب الحياة ذاتها، وقد استعاض عن غيابها بالرؤية الحلمية، وخيل إليه أنها تجسدت فى الحان فى هيئة الساقية أو المغنية...

ويستحضر الشاعر كذلك فى منظومته شخصية "جلبان" أم النواسى التى لم تعطنا المصادر سوى شذرات قليلة عنها .. وقد أعمل الشاعر المعاصر خياله النشط فى رسم صورة "جلبان" الأم التى تفتحت عينا الابن على مباذلها وهى ترقص فى الحانات وتبيع الهوى للطامعين :

"جلبان" تَسْقِى النَّبيذَ مُتْعَبَةً

"جلبان" تُذْكِي الأُوَارَ فى الفَحْمِ!!

"جلبان" هاتى .. تميل مُعطيةً

من لَحْمِها فى شَرَائحِ اللَّحم !!

"جلبان" صُبِّى .. تصبّ أدْمُعَهَا

وينتشى عِلْيَةٌ مِن القَوْمِ

"جلبان" هيا .. "جلبان" راقصة

"جلبان" مَوْتٌ يَهْتَزُّ فى جِسْمِ

ويضفى الشاعر على صورة جلبان أبعادًا إنسانية، فيجعلها ضحية زمن فاسد، ويجعل النواسى يتعاطف معها، ولا يقف منها موقف العقوق. كما يمنح الشاعر صورة "جلبان" أبعادًا أعمق، فيرمز بها إلى القهر والعبودية ويرى فيها صورة لوطن مستباح يرسف فى القيود وتحاصره الرياح العاتية القاهرة:

بالرغم منأى أراك راسفةً
فى القَيْدِ، يومٌ يُفْضِى إلى يوم
لو أن حربًا تُدِيلُ من زَمَنِى
أَوْتَرْتُ قوسًا بأضلعى ترمى
لكننى .. والرِّيَاحُ قَاهِرَةٌ
أُغْضِى .. ومالى عليك من لَوْمِ
أُمِّى، وليس العقوقُ من خُلُقِى
مهما أُذيلَتْ فإنَّها أُمِّى

إن القارئ ليتساءل مندهشًا : من صاحب الخطاب الشعرى هنا: أهو النواسى بلحمه وشحمه أم شاعرنا المعاصر الذى توحد به وأذاب صوته فى صوته فنطقا بحديث واحد وصدرا عن رؤية واحدة ؟!

إن شاعرنا المعاصر لا يفوته أحـد مـن شـخوص التجربـة النواسية دون أن يستدعيه ويحاوره ويرمز بـه إلى رؤيتـه ويصبهـره في تجربته، وكما استدعى شخصيتي "جنان" المعشوقة و"جلبـان" الأم، فقد استدعى كذلك شخصية "والبـة بـن الحبـاب" الأسـتاذ والمعلم الذى سقاه خمر المعرفة وأعطاه أبواب السـحر التـى تبـوح له كل يوم بالأسرار والعجائب :

سقانى رحيقَ الشَّمْسِ من تِبْرِ كَرْمِـهِ
وعـــلّق فى أهْـــدَابِ ليلى كَوَاكِبه
وعرَّفَنـــى بابًا من السِّـــحْرِ لم يَزَلْ
يُكشِّـــفُ لى فى كل يَـــوْمٍ عَجَائِبَه

إن "والبة" فـى منظـور الرؤيـة المعـاصرة يرمـز إلى العلـم والحكمة وقد استعان الشـاعر فـى رسـم أبعـاد شـخوصه بالبنـاء الدرامى وتعدد المشاهد والبنية الحوارية، وفى أحد المشـاهد نـرى المعلم يلقن تلميذه درسًا فى "التقية" وكيفية مـداراة السـلطة مـن خـلال خطـاب يتصـف بالحيطـة والذكـاء والمنـاورة والمراوغـة، وتتجلـى فيـه الشـخصية النواسـية التـى تتحصـن بـالهزل والمجانـة والظرف لتتخذ من كل ذلك قناعًا تُخْفِي وراءه الحكمـة والعقـل

والوعى بواقع الحال وهو ما يتجسد فى هذا المشهد النابض بدلالاته وإسقاطاته ورموزه السياسية :

وقال : أجبنى يا نواسىُّ، هــــل تَـرَى
أخى مستحقًا إرثَ عَرْبَاءَ عــاربــه؟!
فقلتُ .. وقد أبديتُ وجــه مَجَانــةٍ
وما أنا فى جَرْوٍ يهــارشُ صَاحِبَــه ؟!
وهــل لبنـى العبَّاسِ فى الرَّأىِ حاجـةٌ
وطاعتُهم بالسَّيْفِ فـى الناس واجبــة؟!
فثار.. وأرغى.. قلتُ: مـولاى، ماجـنٌ
يمــازحُ.. لا تعدُدْ عــليــه غَرَائِبَــه
لأُمِّىَ ذكرُ السوء ..إن كنــت داريًــا
بمن ألْبَـسَ العبَّاسَ منكـــم مَخَالِبَـه !!
لقد كان أوَّاهــا .. حَـلِيمًــا .. مُلاينًـا
فأنَّـــى لـــه بـالباطشــين المرازِبـــه
فهلَّل .. واستَلْقَى على الظهر ضاحكًا
وأَوْمَــأَ للسَّـــاقِى يديــرُ مَشَارِبـــه

أرأيت إلى روعة الخطاب أو الحـوار المتبادل بين النواسى

والسلطة، أو المبدع والسلطة بما يتصف به من صفات ؟ فالخطاب النواسى يحتشد بالمراوغة والذكاء والممالأة فى مواجهة خطاب البطش والقهر الذى يثور ويرغى ويهدد بالسيف إن لم تكن الإجابة على هواه، فإن وجد ضالته هلل ولاذ بالخمر المادية ليصل إلى اللذة الدنيوية. أما النواسى .. الشاعر المبدع الذى يتجدد خطابه فى كل عصر فهو يلوذ بالخمر الروحية هربًا من الواقع الذى يحاصره الظلم والقهر والفساد.

ولم يكتف شاعرنا باستدعاء شخوص التجربة النواسية بل عمد إلى استدعاء الأماكن التى كانت إطارًا للتجربة، فيفرد الشاعر قصيدة لـ "قُطْرُبُّل" وهى الدَّيْر الذى شهد التفاصيل اليومية الدقيقة للتجربة النواسية، وفيه يقول أبو نواس .. الشخصية الواقعية الحقيقية :

قُطْرُبُّلٌ مربعى ولى بقُرَى الكَرْخِ مَصِيفٌ وأُمِّىَ العنبُ

ترضعنى درَّها وتُلْحِفُنِى بظلها والهجير يلتهبُ

وإذا كانت "قُطْرُبُّل" هى مربع النواسى وجنته الأرضية، فإنها فى رؤية شاعرنا المعاصر ترمز إلى العالم المثالى الذى شيده واستوطنه فى خياله، وهى الجنة التى شكلها خياله وسكنها هربًا

من الجحيم الأرضى، والواقع المسكون بالقهر، وقد أثرى الشاعر جنته بالرموز والظلال الروحية وخمر الجنة .. القطـوف الدانيـة.. الخلود .. النقاء .. الطهر .. الطيبات.

فهى الجنة البكر التى لم تلوثها الخطيئـة ولا يعـرف الشـر أو الشياطين الطريق إلى أبوابها ودروبها :

"قُطْرُبُّلَ" جنةٌ سـكنَّاهـا كرمٌ رحيقُ الخلودِ ثدياهـا

ننالُ منها القطوفَ دانيـةً ونُرزَقُ الطَّيبَاتِ أشـباها

ما زالَ فيها بالطُّهْرِ آدمُها ولم تزل بالنقاء حوَّاهـا

هذه هـى الرؤيـة المعـاصرة للتجربـة النواسـية إنهـا رؤيـة جديدة تعيد تشكيل تجربة النواسى وتنظر إليها من زاوية جديدة. فهى من هذا المنطلق رؤية تصحيحية مغايرة للرؤية السائدة القارة فى الذاكرة الجمعية والوجدان الشعبى، وليـس فـى هـذه الرؤيـة مبالغة أو اعتساف، فهى تستند إلى قراءة جديدة للتجربة النواسية لا تكتفى بظاهر النص بل تخترقه وتصل إلى مراميه الخفية وأبعـاده غير الظاهرة وتتجاوز "السطحية" إلى العمق والحفـر فـى طبقـات النص النواسى الأصلى. وإذا كانت هذه الرؤيـة الجديـدة تبعـث فى نفوسنا الإعجاب والانبهار والدهشـة، فإن الأجمـل منهـا هـو هـذا التمـاهى والتوحـد بـين التجربتين وانصهارهمـا فـى تجربـة

واحدة تستبطن الواقع، وتتيح للشـاعر أن يقـف موقـف الرفـض والتمـرد إزاء مـا يحـاصره مـن سـلبيات، إن استحضار التجربـة النواسية انطلاقًا من هذه الرؤيـة الجديـدة بزواياهـا المتعـددة يعـدُّ كشفًا جديدًا فى عالم الفكر والإبـداع، وقـد وضـع الشـاعر يـده على العناصر والمفردات المشتركة فى التجربتين، فانفتحت تجربتـه علـى فضـاءات دلاليـة رحبـة، وفـاضت علـى القـارئ بتجلياتهـا الجماليـة واسـتثارته إلى محاورتهـا واكتشـاف أسـرارها، وأدى التناص دورًا خطيرًا فـى إثـراء التجربـة الشـعرية حيـث اكتسـب النص المعاصر "تعددية" من السياقات النصيـة الأخـرى مـع بقائـه مركزًا فى سياقه الخاص.

ومن خلال التناص مع التجربة النواسية استطاع الشـاعر أن يكشف سلبيات الواقـع بكـل مستوياته وأبعـاده، فهـو واقـع محـاصر بـالقهر والتخـاذل والانهزاميـة والتخليـط والجمـود والانغلاق، ولأن الـذات بقيمهـا المثاليـة تقـف موقـف الرفـض والإدانة فقد آثرت أن تسـمو فـوق هـذا الواقـع البغيـض وتلـوذ بعوالم مثالية أو روحية تشعر فيها بالأمن والسكينة، وتـذوق فيهـا طعم المعرفة الوجدانية والنشوة الروحية، وتنعم بمتعـة "الكشـف" وهو ما يكسب التجربة أبعادًا صوفية خالصة.

إن التجربة فى ديوان "من كرمة ابن هانئ" تجسد الرؤية من فوق أطلال مهدمة. إنها رؤية شاهد عيان على عصر يموج بالتخليط وتكتنفه السحب الضبابية الكثيفة.

وإذا كانت هذه الرؤية الجديدة للتجربة النواسية تُعدُّ إنجازًا فى ذاتها، وتمثل دعامة مهمة فى صرح المشروع الشعرى للشاعر الدكتور فوزى أمين، فإن ثمة إنجازًا لا يقل أهمية عن الإنجاز المشار إليه، وأعنى بذلك الإنجاز الفنى الذى تحقق للقصيدة العمودية على يد شاعرنا، فقد بلغ بها أعلى درجات النضج الفنى، ونفخ فيها من روح "الحداثة" و"المعاصرة" ورفدها بعناصر جديدة، وأضفى عليها من سمات الحداثة والإبداع ما جعلها قادرة على التطور والتحدى. وقد اعتمدت البنية أساسًا على أسلوبية التناص الذى أعاد الشاعر من خلاله تشكيل الواقع ونجح فى إقامة علاقة تواشج حميمى بين النص النواسى الغائب الحاضر، والنص الجديد حيث تداخل النصان فى علاقة تفاعل وتوحد وانصهار. وقد تعددت مستويات التناص ومحاوره بدءًا من استدعاء التجربة النواسية الكلية مرورًا بالشخوص والأماكن وانتهاء بالتناص وتداخل الصيغ والأساليب فى سياقاتها المختلفة واستبطان الأصوات والإشارات، وتداخل الصيغ والأساليب

بحيث تتولد دلالات جديدة تثرى التجربة. وللخروج من أزمة اللغة في جمودها وجاهزيتها ومسكوكاتها فإن الشاعر يدهشنا بطرح لغة شعرية جديدة تكتنز برموزها ومجازاتها المدهشة وصورها الجديدة.

وقد عمد الشاعر إلى أبنية متنوعة تضفى على النموذج العمودى حداثية وترفده بعناصر جديدة، ومن هذه الأبنية :

البنية الدرامية التى تعتمد على تنوع المشاهد وتنوع الأصوات والحوار، وتأخذ شكل "السيناريو" من حيث اعتماده على القطع والاسترجاع ويستطيع القارئ أن يجد أمثلة لذلك فى قصائد "والبة" و"أينا فى كفه الذهب".

ففى قصيدة "والبة" يبدأ البناء الدرامى بمشهد استحضار صورة امرأة غاضبة تلوم النواسى على اتباعه درب والبة، ويدور حوار غاضب بينها وبين النواسى وتتردد فى ختام المشهد أصوات جوارى القصر وهن يعلقن على الحوار. ثم ينقلنا السيناريو إلى المشهد الثانى الذى يجمع بين شخصية النواسى وشخصية السياسى الحاكم، ويعتمد المشهد على الحوار الخالص الذى يكشف عن أسلوب النواسى فى المراوغة والممالأة والتقية. ثم ينتقل السيناريو إلى المشهد الثالث الذى يرمز به الشاعر إلى

جموع الشعب أو العامة وهى تتناقل ما دار بين النواسى والحاكم العباسى، ويختار الشاعر شخوصًا ترمز إلى جموع الشعب مثل قيان الكرخ وصياد دجلة والورّاق، فضلاً عن تردد الحوار على الأفواه أى عامة الجمهور. ثم ينتقل السيناريو إلى المشهد الرابع الذى يجمع بين التلميذ والأستاذ أو بين النواسى ووالبة وفيه يكشف الشاعر رؤيته التصحيحية للشخصيتين ويضع العلاقة بينهما فى إطار الحكمة والعقل والمعرفة، ويؤكد أن الصورة المرسومة القارة فى الأذهان للنواسى وأستاذه ليست الصورة الحقيقية وإنما هى قناع تختفى فيه الحكمة والعقل والوعى خلف قناع الهزل والمجانة وهو ما تحمله دلالات هذا المشهد الحوارى بين الأستاذ وتلميذه :

طرقت عليه الحانَ لَهْفَانَ ساغبًا

فأطْعَمَنِى أسْرَارَه ومواهِبَه

وقال: تَعَلَّمْ.. ما بحانى مَجَانَةٌ

ولكنَّها الدُّنْيَا على الناس غالبه!!

يريدون من يُغضى..فإن بأَح بالذى

أرابَ..أباحُوا الزُّورَ والبَغْىَ جَانِبَه

ولما شرعنا العقل.. قالوا: مَجَانَــةٌ
إذن.. فلتكــن دنيا المجون محاربه
نُغَلِّفُهَـا بالهزل رُجْمَـا مُبِيـــرَةً
وشُــهْبًا على كل الشياطين ثاقبـه
ويومًا.. إذا ثـابت عيون لنورهـا
وألْقَتَ إلى ليــل الضَّيَاعِ غَيَاهِبــه
ســيـعلم قــوم أىّ دُرٍّ ببحرنـا
ويزجى بنا ضوءُ الصَّبَاح مَوَاكِبَـه

ونجـد شـاهدًا آخـر لتوظيـف تلـك التقنيـات الفنيـة فـى قصيدة "أثينا فى كفه الذهـب"، وفيهـا تتعـدد المشـاهد لا بحسـب التسلسـل أو الـترتيب السـياقى المألوف، بـل مـن خـلال طريقـة المونتـاج والقطـع cut away والارتجـاع flash back وتبـدأ القصيدة بمقطع خمرى على الطريقـة النواسـية وكأننـا نسـتمع إلى صوت أبى نواس نفسه بنبرته وأسلوبه. وينتقل بنـا السـيناريو إلى مشهد ماضوى بطريقة "الارتجاع" وفيه نرى رفيقى الصبا والعلـم وقد امتطيا البروق فـى رحلـة الطمـوح والمجـد، وتحـدث المفاجـأة الغريبة التى تكشف عن واقع عبثى عجيب؛ إذ يصل أحدهما إلى أعلى مراتب المجد لا بمواهبه وقدراته بل "بفهلويتـه" و"وصوليتـه"

وريائه وكذبه، بينما يظل الرفيق الآخر -برغم علمه ومواهبه الإبداعية- فى دائرة الظل :

كنّا رفِيقَيْنِ فى الصِّبَا.. سَبَقَتْ
بنـــا خُطَانَـا الألواحُ والكتبُ
يمضى بنا اليـوم فى مُدارَسَـــةٍ
والليـل يأتى فيَسْــهَرُ الطلبُ
ثم امتطينا البُرُوقَ.. وانطلقت
بنا ريـــاحٌ .. وأبْعَدَت سُحُبُ
وأمْطَرَتْنَـا خِلْفَيْــن، ذَا سَخَرٍ
يَلْهُـــو .. وحَبْرًا تُجِلّه الرُّتَبُ

ويلفتنا هذا المشهد بكثافة تعبيراته وبكارة صوره وطزاجتها كصورة الرفيقين وقد امتطيا البروق وأوغلا فى السحب حتى أمطرتهم السماء "خلفين" يمضى كل منهما فى طريق غير الطريق.

ويفجؤنا الشاعر بمشهد إنسانى عجيب نرى فيه وقع المفاجأة على أم كل رفيق منهما :

أمَّانِ، طارت إحداهما فرحًـــا

أخراهمـــا بالهموم تنقلبُ !

هــذى على الطَّيِّبَــاتِ مُقْبِلَـةٌ

وتلك للنائبـــات تَرْتَقِـــبُ

تقول أمٌّ : عَــلاَ بـــه رَشَـــدٌ

تقــولُ أمٌّ : هــوًى به وَصَبُ

ونســوةٌ قد شَـــهِدْنَ حالَهُمَـا

يَقُلْــن : دنيا أحوالُها عَجَــبُ

أرأيـت كيـف انتقلـت "الكاميرا" إلى الأجـواء الشـعبية وتغلغلت فى أغوار النفس لتعبر عن المشـاعر الإنسـانية المتناقضـة وكيف ختم الشاعر المشهد بمقولـة النسـوة اللائى تجمعـن حـول الأُمَّيْن، وقد لخّص الموقف كله فى تلـك العبـارة الموجـزة البليغـة "دنيا أحوالها عجب".

وتنتقل بنا "الكاميرا" إلى مشهد آخر يجمع بين الصـاحبين أو الرفيقين من خلال بنية حوارية تكشف ملامـح شـخصية كـل منهما وتعبر عن رواج الزيف والنفاق :

وقال لى صاحبى : لقد عبثت

بك الليالى .. وخانك الأربُ

وحطَّك اللهو عن مراتبنا

وكان أولى بمثلك الرُّتَبُ

أما ترانى والعلم سوَّدنى

والجاه فى راحتَىَّ والذّهبُ

فقلتُ : هذا قد كان من دأبى

لو أن شانى الرياء والكذب

هل ثمَّ إلا الأسجاعُ صاخبة

بالزيف منها تموّه الخطبُ

إن المشهد يعكس صورة من صور الخلل الاجتماعى والفساد الأخلاقى؛ حيث يصبح الزيف والرياء هو السلم الذى يصعد على درجاته المنافقون والوصوليون لتكون لهم الصدارة فى المجتمع بينما تتوارى فى الظل كل قيمة علمية جادة، أو موهبة إبداعية أصيلة. غير أن الشاعر الذى يجسد أزمة المثقف أو المبدع فى مواجهة مجتمع الزيف والنفاق يؤمن دائمًا بأنه على حق، ويظل قابضًا على الجمر، ويظل يحدوه الأمل فى انقشاع

الغمام والضباب، وهاهو يعود إلى قناع النواسي ليكشف بصوته الحكمة البليغة :

دعنـــي رفيـــق الصبا فوجهتنـــا

ليست سواء .. والـدرب منشعبُ

أمامـــك الأفـق فـــامضِ منطلقـــا

وخلنـــي والشـــرابُ والطـربُ

يومـــا ســـتدرى..والدهر ذو غِيَرِ

من كـــان منـــا في كفـــه الذهـب

وبجانب هذه البنية الدرامية فهناك أبنية وأنساق أخرى يثرى بها الشاعر تجربته، ومنها البنيـة الأسطورية الرمزيـة، ففـي قصيدة "مملكة الكرم" يعيد الشاعر إنتاج أسطورة بلقيس ملكـة سبأ ويوظفها توظيفًا جديدًا، إذ يدعوها إلى مملكة الكرم أو الجنـة الحلمية التي بناها خياله لينعم فيهـا بالنشوة الروحيـة، ويتخذهـا بديلاً عن عالم يمـوج بـالضلال والتيه الروحي، ويتصورهـا وقـد دلفت إلى عالمه النوراني فكشفت ساقيها وقد ظنته لجة من النور البللوري الشفاف :

وكشفت ســاقها محــاذرةً

كأنهــا فــوق لجةٍ تَطَــأُ

فقلتُ مهــلاً فإنــه ألــقٌ

لم تحوهِ فى كنوزهــا ســبأُ

من سِــرِّهِ للشُّمُوسِ دورتُهــا

وعنــده تنتهــى وتبتــدئ

هيا..اصعدى فالصباح كَرْمَتُنَا

ودَعْــكِ من ليــلِ أمَّة صبأوا

غنيت شجوى فقيل : مبتدع

ورمت فجرى فقيــل:مجترئ!

ويستعين الشاعر بالبنية الأسطورية فى قصيدة "أهل الهوى.. يا ليل" فيوظف الميثولوجيا الإغريقية من خلال اختيار أسطورة "ميدوزا" المرأة القاهرة فى سياق يحتمل أكثر من تأويل وينحو منحى جديدًا حين يمزج بين البنية الأسطورية وبنية "المواليا" إذ يختم كل مشهد أو مقطع "بموال" يجسد الرؤية الجماعية للطبقة الشعبية العريضة، فى ضرب من ضروب الحكمة النابضة بالشجن والحزن، ونجد مثالاً لهذا المزج بين البنية الأسطورية وبنية المواليا فى قول الشاعر :

فى راحتيها الشمـــس والقمر !!

وبعقلتيها يبطـــش القـــدرُ !!

عُشاقها لم يحصهـــم عـــددٌ

لكنمـــا أحصاهُـــم السَّهَرُ

رسموا على الآفاق صورتهـــا

وعلى اسمها فوق اللظى عبروُا

لكنها .. والتيهُ شـــيمتُهـــا

ما رقّ يومًا قلبهـــا الحجـــرُ

....

....

يـــا ليلُ .. يا أنداء .. يـــا قمرُ

كم من هوى يشقى به البشـــرُ

وقد استخدم الشاعر بنية المواليا غير مـرة، فنقـل الجملـة الغنائية الشعبية المأثورة "يـا ليـل.. يـا عـين" مـن دائـرة "العـامى" و"الدارج" و"الشعبى" إلى دائرة الشعر الفصيح، ووظّفهـا ببراعـة لتنتقـل بإيحاءاتهـا وظلالهـا وبمـا تنبـض بـه مـن شـجن إلى نسـيج التجربة وسياقها، فهى تتردد فى نهاية كـل مقطـع كأنهـا صـوت جماعى ينبعـث مـن أعمـاق الريـف المصـرى، ليتجـاوب صـــوت

الفلاح المصرى الحزين الذى ينبعث من نغمات الناى الشجية مع صوت الشاعر الذى يبكى على الطلل المتهدم وكأنه مرثية أو بكائية على رحيل كل ما هو جميل...

يا ليلُ .. يا أنداء .. يا قمرُ

كم من هوى يشقى به البشرُ

يا ليلُ .. يا أنداء .. يا قمرُ

يا ليت مما مرَّ نعتبرُ

هكذا تتردد أصداء صوت الجماعة القادم من أعماق الريف والضارب بجذوره فى التربة المصرية معبرًا عن أشجانه وهمومه ومكابداته ونابضًا بالحكمة والعظة والعبرة.

وفى هذا السياق لا يفوتنا أن نشير إلى قصيدة فى الديوان بعنوان "يا ليل.. يا عين"، وفيها يعتمد البناء على بنية "المواليا" فتبدأ بالموال باستخدام التيمة الشعبية المأثورة "يا ليل يا عين"، ويكررها الشاعر فى استهلال الأبيات الثلاثة الأولى معتمدًا على بحر البسيط وهو البحر الذى يُنظم الموال على إيقاعه... واللافت هو اختيار "الموال" ليكون إطارًا للموضوع الذى يلتفت فيه الشاعر إلى رحلة أبى نواس إلى خصيب مصر

ليرمز الشاعر من خلال هذه الرحلة إلى الواقع المؤلم الذى عاينه النواسى فى رحلته حيث تتداخل الرؤية النواسية مع الرؤية المعاصرة، ويتقاطع الماضى مع الحاضر ويكون "الموال" أشبه ببكائية حزينة فى رثاء هذا الواقع :

يا ليل..يا عين..من للسٌر يرعاه

إن ضاق صدرٌ وليل الهم أضناه

أغفى النخيل على الشطين منهدلا

والنهر يسحب عبر الدمع مجراه

وللسَّواقى البَوَاكِى فى الفضاء صدىً

على غُصُون الجوى ناحت ثكالاه

وأوثقوها لجذع النَّخْلِ عَارِيةً

يسومُها السوط إذعانًا وتأباه

يا ليل.. يا عين من للفجر نرسله

لعله بالمنى يزجى سراياه

إن اللغة الرمزية والصور الموحية تشيان بتفاصيل هذا الواقع المشحون بالقهر والانكسار والتخاذل.. كصورة النخيل المنهدل على الشطين بما ترمز به إلى الانكسار، وصورة النهر الذى يذرف الدموع، والسواقى الباكية والغصون النوائح

والطبيعة الثكلى، وصورة الموثقة العارية التى يسومُها السوط وكلها صور توحى بالقهر والإذعان والانكسار، ولذلك يختمها الشاعر بالموال الحزين الشجي الذى يرثى الواقع ولا يفقد الأمل فى المستقبل.

وكما استخدم الشاعر بنية المواليا، فقد استهدم بنية "الحكى" أو السرد من خلال العبارة المأثورة "كان يا ما كان" المشحونة بظلالها الشعبية الأسطورية القارة فى ذاكرة الوجدان الجمعى، ولذلك يحرص الشاعر على أن تحتفظ البنية بتلك الظلال الأسطورية المفعمة بالسحر والخيال :

كان يا ما كان.. أىُّ فتىً

ساحراتُ اليمٌ تستلبه ؟!

أوْمَضَت.. فانساب زورقه

ونضت. فاصطكَّ مضطربُه !!

يلبسُ الأمواجَ.. تخلعه

يَحْرُبُ الأنواء.. تَحْتِرِبُه

لظليلِ.. قيل: من أرج

وخميلٍ أرضه ذهبه

وزمــــانٍ مــورق.. صدحت

أيكة.. واخضوضــرت حِقَبُـه

وعذارى إن شــــدون شــكا

طينَـه.. من طينُــه حجبــــه

كــلٌّ مــن غنَّيْـــنَ مُخْتَبَـــلٌ

بُـــرؤُه مــن دائِــــهِ وصبــــه

إن تصوير الشاعر لهذه الأجواء الحلمية يقودنا إلى ضرب آخر من الأنساق والأبنية التي يستخدمها الشاعر، ونعنـى بذلـك البنية الحلمية التي يسعى الشاعر من خلالها إلى إقامة عـالم حلمـى موازٍ لعالم الواقع.

ونجد أمثلة لهـذا البنـاء الحلمـى فـى غـير قصيـدة، ومنهـا قصيدته عن "جنان" فهى ترمز إلى حلمه فى الوصــول إلى مرافـئ البهجة الروحية والحب المطلق والمعرفة الوجدانيـة، ولذلـك فهـى تتجسد دائمًا فى أحلامه وتتمثل أمامه فى الحان كل ليلة :

فى الحــانِ ليلى وليلُها عجــبٌ

إن ثــارت الخَمْرُ بالمواجيــــدِ

إن أقبلت بالكئوس ســاقيـــةٌ

أقول: أسهرتِ ليلَ تسهيـــدى

وإن تغنّت بالعــودِ شـــــادية

أقول: صالت "جنـــان" بالعود!

وإن عـــلت للمـــــزاج قرقرةٌ

أقول:نادت..فمن تُـرى نُودِى!

وهكذا مـا يـــزال يُتْبِعُنـــــى

وهمِى طُيوفًا لوجهِ مفقـــودِ !!

فتــارة فى الحبـــاب ألثمها !!

وتارة فى نضيــــد أملـــودِ !!

وتــــارة باللحـــاظ غامـــرة

وتــارة تنثـنـــى بتأويـــدِ !!

وينقضى الليـــلُ مثلمــا حُلْمٍ

"جنان" منه فى كـــل معـقــودِ

وحين أصحو.. ما ثَـمَّ غير يـدٍ

خلت.. وقلب فى الهم مصفـود

إن استعانة الشاعر برموز الخمـر فـى ذاتهـا تجســد تلـك الرؤية الحلمية التى تؤدى دورًا مهمًا فى تشكيل عناصر التجربـة ونسج تفاصيلها، فالخمر هى الوسيلة إلى مفارقة الواقع والانتقـال

إلى عالم حلمى أو خيالى يعيد تشكيله عالم اللاوعى، ومن خلال هذه الرؤية الحلمية يتحقق الانفصال بين الشاعر وواقعه وإن ظلت صورة الحاضر بانكساراته وإحباطاته ماثلة فى وجدانه.

وهكذا تتنوع الأبنية والأنساق التى تتسع لها القصيدة العمودية حين يتهيأ لها شاعر كبير بحجم الدكتور فوزى أمين وطاقته الإبداعية الضخمة. وقد تجلت هذه الطاقة كذلك فى هذا الاستخدام المدهش للبنية الإيقاعية والعزف بمهارة منقطعة النظير على إيقاع المنسرح فى غير قصيدة، وزخرفته بطابع إيقاعى خاص. لقد امتازت البنية على اختلاف أنماطها بحداثة السياق التركيبى والتصويرى، والامتزاج المدهش بين اللغة المجازية يإيقاعاتها الجديدة وعناصر التشكيل الفنى، وتحقق التوحد فى أعلى درجاته بين التجربة النواسية والتجربة المعاصرة من خلال رؤية الشاعر الجديدة، فتوحَّد الصوتان فى نغمة حداثية مثيرة لم تعجز القصيدة العمودية عن احتضانها واستيعابها لأنها تهيأ لها شاعر كبير استطاع أن يفجر طاقاتها الكامنة، من خلال هذا الديوان الذى أُعدُّه فتحًا جديدًا وإضافة حقيقية إلى رصيد شعرنا العربى المعاصر.

عناقيدُ من كَرْمَةِ ابن هانئ

" كتبت قصائد هذا الديوان فى المدة الواقعة بين
أول مايو وآخر يوليو من العام الميلادى ٢٠٠٣"

مفاتيــح

الحسن بن هانئ هو أبو نواس الشاعر العباسى المعـروف، اتصل بهارون الرشيد ومدحـه، ولما تـولى الخليفـة الأمـين أصبـح شاعره الأثير، ونديمه المقرب، وبعد مقتـل الأمـين علـى يـد أخيـه المأمون اعتزل أبو نواس ساحة الضوء حتى مات، وربما كـان مـن الـلازم أن نعـرف القـارئ إلى أعـلام الأشـخاص والأمـاكن التـى دارت حولها بعض قصائد هذا الديـوان حتـى تتضح لـه الرؤيـة، وهذه الأعلام هى :

١- جُلْبَان : أم أبى نواس، وقد اضطرت تحت وطأة الحاجة أن تجعل بيتها الفقير أو عُشَّتَها ملتقى لطلاب المتعة، وروّاد اللذة.

٢- جِنَان : جارية كانت لآل عبد الله الثقفى أحبها أبـو نـواس حبًّا جارفًا، ولكنه لم ينل منها غير الحرمان.

٣- قُطْرُبُّل : مكان فى العراق عرف بكرومه وخمره وكان يقصده أبو نواس وفيه يقول :

قُطْرُبُّلٌ مَرْبَعِي ولى بقرى الـكَرْخِ مَصِيفٌ وأُمِّيَ العنب

٤- والبه بن الحباب : كان شاعرًا تتلمذ عليه أبو نواس وزعموا أنه كان ماجنًا وعنه أخذ أبو نواس المجون.



﴿إهـــلال أوّل﴾

بأيُّنا يُبْحِــــرُ الشِــراعُ ؟!
وأنتَ .. أو هـل أنا القناعُ ؟!
ومن له الوجـدُ والقوافـــى ؟!
ومن له الطِّـرسُ واليَـرَاعُ ؟!
وأيُّنـــا ســابـــقٌ ؟! .. وأىٌّ
له عـــلى دربـــه اتِّبَـاعُ ؟!
ونحنُ صـــوتـان .. أو تُرانـــا
صوتٌ له في المدى اتِّسـاعُ ؟!
أم أنَّهـــا كَـــرْمَـةٌ تنـامت
وفى كلَيْـــنا لها شـــعاع ؟!

* * *

تَقُولُ لى .. أو أقولُ .. تُصْغِى
ولى على بُعْـدِىَ اســـتمـاعُ
تَرْمِـــى .. وأَرْمى .. ومارمَيْنَا
لكنَّما قـــد رمـى الضَّيَاعُ !!

* * *



﴿إهـلالٌ ثـانٍ﴾

وقـالت الكـــــرمُ لما صــــحَّ إصغاءُ :

مــن أخـــرُفِي ألفُ الأَسْـرَارِ واليـاءُ

إنْ جفَّتْ الأحرفُ العَجْفَاءُ في صُحُـفٍ

فلي حُرُوفٌ على الأزمـــانِ خضـــراءُ

وإنْ أَضَـــاءَتْ عَنَـاقِيـــدى لقارئهـــا

أطـــــــلَّ آدمُ مـــن أُفقـــي وحـــوَّاءُ

يحدِّثــــان الذى قـــــد كــــان من خبرٍ

من قبــل أن تـلبـــسَ الأشـيـاءَ أسماءُ

معـــارفٌ ليس من لَغْــــوٍ رَقَائِقُهـــــا

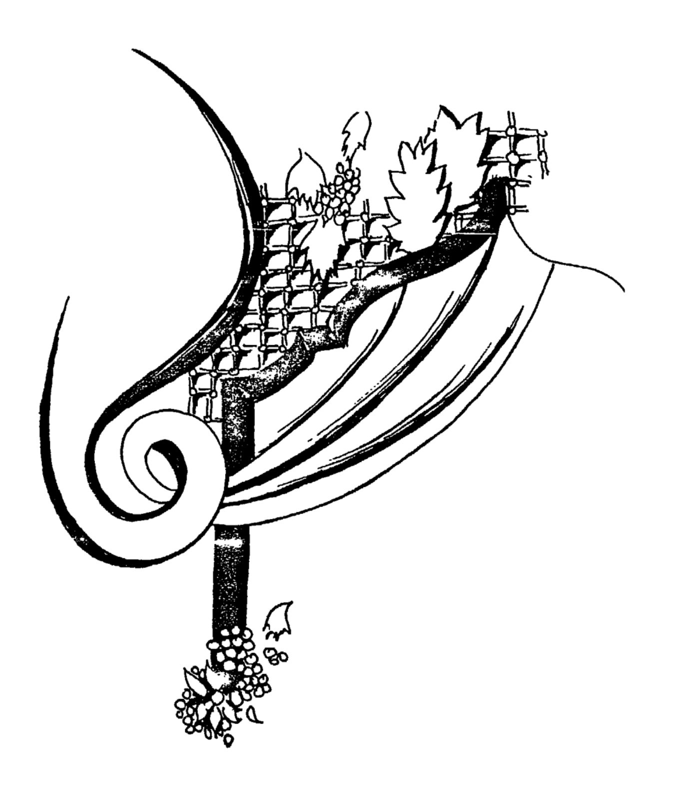
لكنَّهـا أنفــسٌ تَسْـعَــى وأعضـــــاءُ

لتلك فاسمعْ .. ولا تعكُفْ على نَفَـــرٍ

قد أَسْـــكَرَتْهُم أضاليـــلٌ وأهــــواءُ

(وقل لمن يدَّعِـــــي في العِلْمِ فَلْسَــفَةً

عرفتَ شيئًا .. وغابتْ عنك أشيـــاءُ)



﴿داری سناها﴾

دارِى سناها لا يَشْعُر العَسَسُ

فالأفقُ غيمٌ .. والأمرُ ملتبسُ

وألْغِزِى اللّفظَ إن أدَرْتِ بنا

كئوسَها .. فاللبيبُ يحترسُ !!

فهيِّنٌ أن يُقال : زَنْدَقَةٌ

والناس مُستَضْعَفٌ .. ومُخْتلَسُ !!

ونحنُ قومٌ لم نأتِ فاحشةً

وهمُّنَا من زَمَانِنا قَبَسُ !!

* * *

القَصْرُ .. واللّيْلُ .. والمَدَى حَرَسُ

ودارَ ساقٍ .. ورنَّمَتْ لُعُسُ

أبْدَى لِيَانًا فزادَنِى وَجَلاً

ولاحَ لى فى لِيَانِه الشَّرَسُ

وحينَ هلَّتْ سُلِبْتُ أقْنِعَتِى

وكاد صوتى فى الحَلْقِ يَحْتَبِسُ !

أَوْمَتْ بِهُـذْبِ اللّحـــاظِ قـــائلةً :

ما عنـــد هـــذا تُمَـارَسُ الخُلَـــسُ

امْسِـــكْ عـليـــك الحياةَ .. إنَّهُمُ

أشـــبالُ مـــن للجَلِيـــسِ يَفْتَرِسُ

أَجَلْتُ طرفى فى الجمع ما وَجَدتْ

عينى سواها فى كلِّ من جَلَسُـــوا

* * *

يـــا مـــنْ يُغَنِّى والقَلْـــبُ مُبْتئِسُ

بالرَّغـم منِّى وشَـــتْ بىَ الطُّرُسُ !

من لى بحرفٍ إن قلتُ يَكْتُمُنِى ؟!

من لى بلفظٍ معنـــاهُ ينعكـسُ ؟!

لُغَاتُنَـــا كـــلُّهـــا مُـــفَتَّحَـــةٌ

خيرٌ لنـــا من ركوبهـــا الخَرَسُ

* * *



﴿في البدء كانت الكَرْمَة﴾

مباركٌ ذكرُهـــا .. فالْهَـــجْ بتقْديسِ

فحرفُ حِكْمتِهـــا من لـوحِ إدريـــسِ

أدِرْ ســـلافَك .. بالأفــراح تغمُرُنى ..

بـالذُّل تُبْدِلنـــى زَهْـــوَ الطواويـــس

كانتْ .. ولا قبلَ.. ثم انسابَ جوهرُها

فى نجم أُفْقٍ .. وفى أَعْـوادِ مغْـرُوسِ !!

* * *

إذا سَـــرَتْ فى عروقـــى فالضِّياءُ دمى

والشمس تشرقُ من نشْـوَى أحاسيسى

وإن أَبَـــانَتْ فــلا حُجْبٌ ولا سـقُـفٌ

ولا دَهَـاقِنَـــةٌ تَسْـعَى بتَدْلِيـــسِ !!

فخذ عن الرَّاحِ .. وارشُفْ سرَّ حكْمَتِها

ودعْك من علم أقــوامٍ مفاليـــسِ !!

* * *

أنْضَيْـتُ فـى فَـلَوَاتِ العَقْلِ راحلتـى

وما انتهيـتُ لربعٍ منه مأنـوسِ

وعـدتُ.. تركزُنى فى السُّهد أسئلـةٌ

لها على اللَّيْل قـرعٌ كـالنواقيـس

من يُبْردُ القلبَ من نيرانِ غُـلَّتِـهِ ؟!

ومن يردُّ حرابًا مـن وساويسـى ؟!

وكَمْ سَـعَيْتُ إلى الكهَّـان أسـألَهمْ

وكم خـلَوْتُ بشمَّـاسٍ وقسِّيـس

قالوا: نعيذُك من إبليسَ .. قلتُ لهـم :

ليس الذى بِىَ مـن إغْـوَاءِ إبْلِيـس !!

لكنَّها الـرُّوحُ تَهْفُـو للحيـاةِ ..ومـا

سـوى الموات بأجـداثِ القراطيس !!

ولا هـبٍ مـن هجيـر الخوف تُشْعِـلُهُ

أيْـدٍ تُـرابـى بأحـلامِ المتاعيس !!

قالوا: عَدَوْتَ.. فقلتُ: الطَّيْرُ ما خُلِقَـت

لتُسْـتَضَـامَ بأغـلاقِ المحابيـس !!

خلُّوا سَبيلى .. فلدنيـــا الله واســعـــةٌ

ولا عليــكـــم إذا نَاسَـــتْ نواويســـى

* * *

رُوحـــى وراحِىَ طِفْلاً كَـــرْمَـــةٍ نَبَتَتْ

فى ضـاحـــكٍ بأريـــج الحُلْمِ مُغْمُـــوس

لها العناقيـــدُ مـــن ذوب النُّضَارِ .. ولى

طِمَاحُ عُـــودٍ بعشـــق النُّورِ مَلْبُـــوس

إذا امتزجْنـا فنحـــنُ الكونُ مـــؤتلفًـا

والنَّـار نحـــنُ ... وجنَّـــاتُ الفَرادِيس

رجـــسٌ وطهـــرٌ .. شياطينٌ .. ملائكةٌ

مطمـــوسُ ســـرٌّ .. وسرٌّ غيرُ مَطْمُوس

لنَـا ومنَّـــا عـــلى الآفـــاقِ أنجمُهـــا

ومـــن مَعَارِجنـــا خضـــرُ النَّوَامِيـــس

مجدُ الحقيقةِ فينا .. ليـــسَ فى صُحُـــفٍ

عـــنْ العقـــولِ البليـــداتِ الأماليس

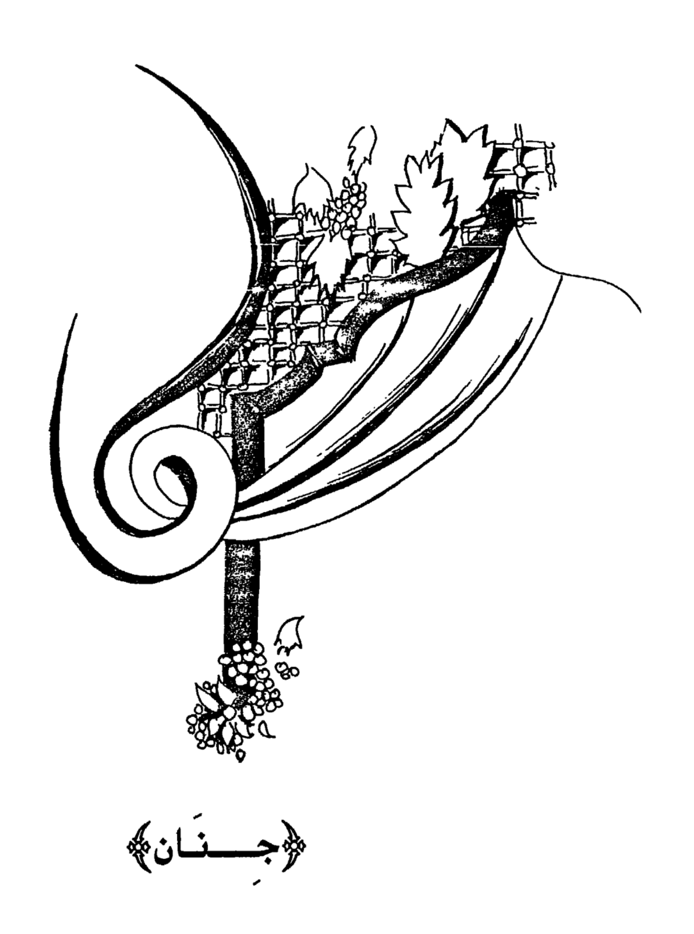
فهاتِهــــا .. وأنلْنِي تـــاجَ مملكتـــي

واجْمَــعْ شَــتَاتَ أثيريٍّ ومَحْسُـــوسِ

في البَدْءِ كنتُ .. إذا فَتَّشْتَ عن خَبَرِي

وكرْمــةٌ .. كِلْمةٌ .. عُرْسي .. وتَغْرِيسي

* * *



﴿جِـــنَان﴾

وجهُ "جنانٍ" إطْلاَلَــــةُ العيــدِ

خُطى جنـــانٍ مواســـمُ الجـــودِ

عينا "جنانٍ" بُسْـــتَانُ معرفـــةٍ

فى أيْكِهِ رفْرَفـــتْ أغـاريـــدى

مضتْ "جنانٌ" ... وكان موعدُنـا

إذا زَهَـــا الكـــرْمُ بالعَنَاقِيــــــد

وهـا أنا .. مـــا أزالُ منتظِـــرًا

عيْنى عـــلى عقْـــرَبِ المواعِيــد

* * *

فى الحــــانِ لَيْلِى ولَيْلُها عجــبٌ

إن ثَـــارَتْ الخمـرُ بالمواجيـــــدِ

إن أقْبَلـــتْ بالكئوسِ ســـاقيةٌ

أقول: أسـهرتِ ليــلَ تَسْهِيدى !!

وإن تغنّـــتْ بالعـــودِ شـــاديةٌ

أقولُ : صَالت "جنـانُ" بالعُـودِ !!

وإن عَـــلَتْ للمِزاج قــرقــرةٌ

أقولُ: نادتْ.. فمن تُرَى نُودِى ؟!

وهكـــذا .. مـــا يـــزالُ يُتبْعُنِى

وهَمِـــى طُيُوفًـا لوجْـهِ مَفْقُودِ !

فتـــارةً فـــى الحَبَـــابِ ألْثُمُها !!

وتـــارةً فى نضيــــدِ أمْلُــودِ !

وتــارةً باللّحـــاظ غـــامـــزةً

وتـــارةً تَنْثَنِـــى بتَـأويـــدِ !!

وينْقضِى الليْـلُ مثلمـا حُـلُـمٍ

"جنانُ" منه فى كــلِّ مَعْقُـــودِ !!

وحين أصحُو ... مـا ثَمَّ غيرُ يَـدٍ

خلَتْ .. وقلـــبٍ فى الهمِّ مَصْفُـودِ

* * *

قد أبطأَتْنِى "جنانُ" .. هـل نَسِيَـتْ

أو ضَــنَّ خَــانٌ بربَّـــةِ الغِيدِ ؟!

كـم أغْــدَقَ الكرْمُ فــى مواسِمِــهِ

وسَلْسَــلَ التِّبْرُ فى النَّوَاجِيـــدِ !!

يا صــاحبَ الحـانِ دعْ مســاوَمَــةً

فأنت تَدْرِى... "جِنَانُ" مَقْصُــودِى

ولتَحْتَكِمْ ... ما تشـاءُ من ذَهَـــبٍ

"جنانُ" أغْلَى مـن كـــلِّ مَنْقُــودِ

فهزَّ رأسًــا .. وقــال: موعدُنــا

إذا زهَــا الكــرْمُ بالعَنَاقِيـــدِ !!

* * *



﴿أهلُ الهوى .. يا ليل﴾

فى راحتَيْها الشَّمس والقمـرُ !!

وبعقلتيْها يَبْطِـــشُ القَـــدَرُ !!

عشاقُهـــا لم يُحْصِهِـــمْ عـددٌ

لكنَّما أحصاهُـــمُ السَّهَـــرُ

رسَـــمُوا على الآفـاقِ صُورتَهـــا

وعلى اسمِها فوقَ اللَّظَى عَبَـــرُوا

لكنَّهـــا .. والتيــهُ شـــيمَتُهـا

مـــا رقَّ يومًـــا قلبُها الحجـــرُ

* * *

يا ليلُ ... يـــا أنداءُ .. يا قمـــرُ

كم من هوًى يشْقَى بــه البَشَـــرُ

* * *

قـــالُوا لها : قـد جـــاء ممتطيًـــا

أحْـلاَمَـهُ .. يسمُو بـــه البَصَـــرُ

مَعَـــهُ مـــن اليـاقـــوتِ ألـدرُّه

ومـــــنَ الَّلآلى الجـــمِّ دُرَرُ

ومن الرُّقَى سِحْـــرٌ .. عزائِمُـــهُ
تُزْجي السَّحـــابَ فيهطـلُ المَطَــرُ
ويقـولُ : لــوْ تَرْضَيْنَ سيِّدَتــــى
عمرى أُقَدِّمُـــــه .. وأعْتَـــــذِرُ
فرَمَـــتْ بطــرفِ العين هـــازئـةً
ومضـــتْ كـــأن لم يأتِهـــا خَبَـرُ !!
* * *
يا ليلُ .. يا أنـــداءُ .. يـا قمــرُ
أهلُ الهوى عَذَرُوا .. ومـا عُـذِرُوا
* * *
وحشيَّـــةَ العَيْنَيْـــن؛ .. هـل أملٌ
ومُعذِّبـــاىَ؛ الأوب والسَّفَـــر ؟!
أبـــوابُـــك المائـــةُ التى وقَفَـــتْ
صُمًّا .. عليهـــا الحلمُ يَنْكَسِـــر
أتليـــنُ صخـــرتُـهـــا لِمُبْتَهِـــلٍ
مـــا زالَ بالأشـــواقِ يَنْتَظِـــرُ؟!
* * *

يـــا ليلُ .. يـــا أنداءُ .. يـــا قمرُ
أُحْجِيَّـــةٌ حـــارتْ بهـــا الفِكَر

* * *

قـــولُوا لهـــا : دَمُنَا الَّذى سَفكَتْ
يومًا سَــتُرْهِقُهـا بـــه الصُّـــوَرُ
ســتراهُ فـــى مرآتهـــا يَبَسًـــا
للـــوَارِفـــاتِ الخُضْـــرِ يَعْتَصِـــر
وجَـــداوِلاً للَّيْـــلِ حـــالكـــةً
من مـائِهـــا يَخْلَـــوْلِكُ الثَّمَـــرُ

* * *

يـــا ليـــلُ .. يـــا أنداءُ .. يا قمرُ
يا ليـــت ممـــا مَـــرَّ نَعْتَبِـــرُ
حَـــوَرٌ بـــه كانـــت ملاحتُهـــا
وبَـــلاهُ ممـــا يصنـــعُ الحَـــوَرُ

قـــولوا لمن يرنُـــوا لها : حـــــــذَرًا

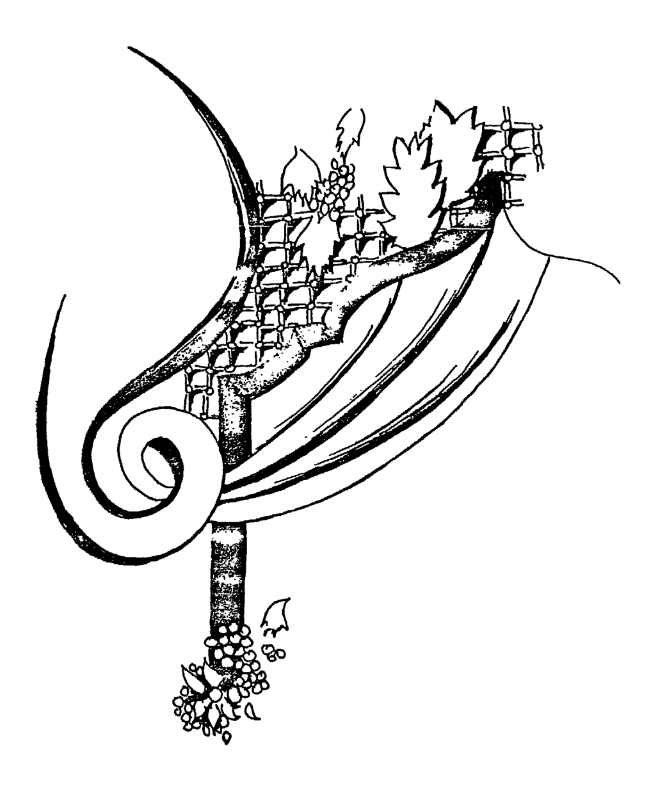
من سِحْرِها .. قـــد ينفَـــعُ الحَـــذَرُ

* * *

يـــــا ليـــلُ .. يا أنــــداءُ .. يا قمرُ

يـــا ليـــــلُ .. يا أنــــداءُ .. يا قمرُ

* * *



﴿جُلْبَـــان﴾

"جُلْبانُ" .. كانت .. ولم تَزَلْ همِّى

يُدْمِـى شَذَاها .. وريحُها تُدْمِـى !

ما أَرْضَعَتْنِـى أَثْـداءُ رحلتِهـا

فى القـهْـرِ إلا مـرارةَ اليُتْـمِ !

* * *

فَتَحْـتُ عَيْنِـى على مباذِلِهـا

تبيـعُ للناس خُلْسَـةَ الوَهْـمِ

يَحُـطُّ بالطَّيْرِ فـوقِ عُشْبَهَـا

ليلٌ يُغَنِّـى بالزِّيـرِ والبَـمِّ

يطيرُ سـربٌ بيـضٌ قـوادِمُـه

يحطُّ سـربُ القَوادِمِ السُّـخْمِ

جـوارحٌ لاتنِـى مُدَاهِمَـةً

للصَّيْـدِ بـالمخْلَبَيْن والخَطْـمِ

* * *

وتنْثَنِــــى بالطَّوَى .. ومـــا تركتْ

من صَيْدِهــا غيرَ ناشـــزِ العَظْـــم

* * *

"جُلْبَانُ" تسـقـــى النبيـــذَ مُتْعَبَـــةً

"جُلْبَانُ" تذكى الأُوارَ فى الفَحْـم !!

"جلبانُ" هـــاتى .. تميـــلُ مُعْطِيـــةً

من لحمها فى شَـــرائحِ اللَّحْـــمِ !!

"جُلْبانُ" صُـبُى .. تصـبُّ أدمعَهـــا

وينْتَشِـــى عِـلْيَـةٌ مـــن القَـــوْمِ

"جُلْبانُ" هيَّـــا .. "جُلْبَانُ" راقصـةٌ

"جُلْبَانُ" مـــوتٌ يهتـــزُّ فـى جِسْمِ

* * *

قالت: تروم النجومَ ؟ قـلتُ لهـــا :

كـــم ذا نُعَنَّـــى بومضَـةِ الحُلْـــم

الحلـــم .. حتَّى عَـلَيْـهِ ليـسَ لنا

من طـــاقةٍ إن أطَـاف أو عَـــزْمِ

أرضُ الأرقّـــاء مـــا لهـــا أفـــقٌ

ولا سَـــمَـــا طرفُهـــا إلى نَجْـــمِ

بالرَّغْـــم منّـــى .. أراك راســـفَـــةً

فى القيدِ؛ يـــومٌ يُفْضِـــى إلى يَـــوْمِ

لـــو أنَّ حـــربًا تُدِيـــلُ مـــن زَمَنِى

أوْتَرْتُ قـــوسًـــا بأضْلُعِـــى تَرْمِـــى

لكنَّنِـــى .. والرِّيـــاحُ قـــاهـــرةٌ

أُغْضِـــى ... ومالى عَـــلَيْك من لَـــوْمِ

أُمِّى .. وليس العُقُوقُ مـــن خُـــلُقِى

مهمـــا أُذِيلَـــتْ فإنَّهـــا أُمِّى ...!!

* * *



﴿والبـــة﴾

تشيحُ بوجهٍ ثم تدنُــــو معاتِبَـــــــه

وحتى متى تمضى على دربِ والبَـه ؟!

فقلتُ : ذَرى ما تجهلين .. فمــا أرى

لوالبــةٍ مِثْــــلاً مـــن الناس قــاطِبَــه

سقالى رحيقَ الشّمس من تِبْرِ كَرْمِــه

وعلّـــقَ فى أهْـــدَابِ لَيْلِى كواكِبَه

وعرّفنى بابًــــا من السِّحْـــرِ لم يَـــزَلْ

يكشّـــــفُ لى فـــى كــلِّ يومٍ عَجَائِبَه

تَعَنّتْ .. ولم تَفْهم .. فراحت تسبُّنُـــى

وقالت: إذن دَعْواك فى الحُبِّ كاذِبَـه

وقـالت جوارى القصــر لما رأيْنَهـــا :

لقد ذهبـــت غَضْبَى وعادَتْ مُغَاضِبه

* * *

وقال: أجبنى يا نواسِـــىُّ؛ هـل تـــرى

أخى مستحقًّـــا إرثَ عرباءَ عارِبــه ؟!

فقلتُ .. وقــد أبديــتُ وَجْهَ مجانَةٍ :

وما أنا فى جَــرْوٍ يُهَارِشُ صاحِبَــه ؟!

وهــل لبنى العبــاس فى الرَّأْىِ حـاجةٌ

وطاعتُهـم بالسَّيْفِ فى النَّاسِ واجبـه ؟!

فثار .. وأرْغَى .. قلتُ: مولاى؛ ماجنٌ

يمازحُ .. لا تعــدُدْ عليــه غَرَائِبَه ..

لأمِّىَ ذكرُ السُّوءِ .. إن كنتُ داريًــا

بمن ألْبَسَ العبَّاسَ منكمْ مَخَالِبَــــه !!

لقد كـانَ أوَّاهًــا .. حليمًــا.. مُلاينًا

فأنَّى لـــه بالباطِشِـــينَ المَرَازِ بـــه؟!

فهلَّلَ .. واستلْقى على الظَّهر ضاحكًا

وأوْمَــأَ للسَّـــاقى يُديــرُ مشــاربَه

* * *

تناقلتْ الأفواهُ ذكــرَ الذى جـــرى

وأســهــرَ همسٌ فى الليــالى مَرَاقِبَــه

أَصَاب النواسِي .. قالها حين أحْجَمَتْ

خطانا .. وأرْسَى الخوفُ فينا مَرَاكبه

وغنّــتْ قيــانُ الكــرخ ســرًّا مجانّنى

يُخَالِسْنَهــا مــن كــلِّ نكراءَ نَاكِبَـه

وأَيْقَــظَ صيَّـــادٌ بدجـــلةَ ليْــلَــهُ

بقولى .. وقد أَجْرَى على الحُلْمِ قاربه

وأذلَفَ مـــن دُور الوراقـــة ســاربٌ

يقول: أفِضْ؛ أقــلامُ دَهْـــرِك كاتبه

* * *

وعادتْنِـــيَ الذكــرى طُيوبًــا نديَّـــةً

فقلتُ: رعــاك الله يـــا عهدَ والبـه

بأىُّ عبيرٍ منــك ضَـاعَتْ خمائِلـى ؟!

وأىُّ مِرَاحٍ منك يُــدْنِى مَلاعِبَـه ؟!

وأيَّةُ أطيـــارٍ شــفيــفٍ غناؤُهـــا

ترفُّ عــلى أفْقِى .. وتحنو مُدَاعِبه ؟!

* * *

طرقــتُ عليــه الحانَ لهفانَ ساغِبًــا

فَــأَطْعَمَنِــي أســرارَه ومواهبَــه

وقـــال: تعلّمْ .. مـا بِحَالى مجانـــةٌ

ولكنّهــا الدُّنيــا على النّاسِ غالِبَه !!

يريـــدون من يُغْضِي.. فإن باحَ بالذى

أَرَابَ .. أَباحُــوا الزُّورَ والبغْـىَ جانبه

ولّما شـــرَعْنَا العقلَ .. قــالوا: مجانـةٌ

إذنْ .. فلتكنْ دنيا المجون مُحـارِبـه !!

نُغَلّفُهـــا بـــالهزل رُجْمًــا مُبِـيـرةً

وشهْبًا على كــلُّ الشياطين ثَاقِبــه !!

* * *

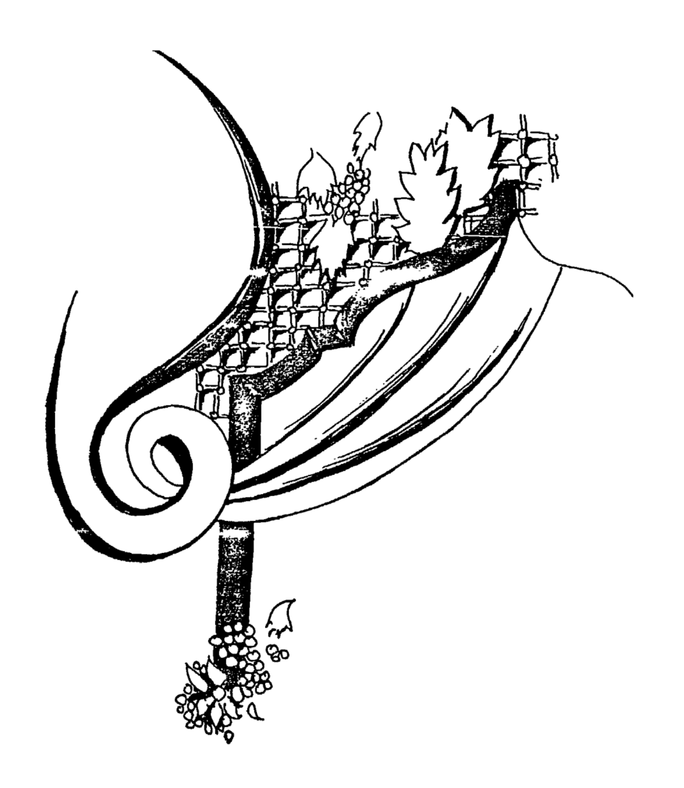
ويومًا .. إذا ثابـت عيــونٌ لنورِهــا

وألقتْ إلى ليْــلِ الضيَّاعِ غَيَــاهِبَــه

ســـيعلــمُ قــومٌ أىَّ درٍّ ببحــرنــا

ويُزْجِي بنـا ضـــوءُ الصَّبَاح مَوَاكبــه

* * *



﴿كرْمُنا لنا وطن﴾

بـــــالحظوظ تنقلِــــــبُ يـا زمـانُ .. يـا عجــبُ
الـذُّيــــولُ صـــاعـــدةٌ والـــذُّوائـــبُ الذَّنَـــبُ
والغبـــيُّ صـــارَ لـــه الصَّــوْلَجَـــانُ والنَّشَـــبُ
إنْ أتـــى له صَـــخَـــبٌ أو مضَـــى له صَـــخَـــبُ

* * *

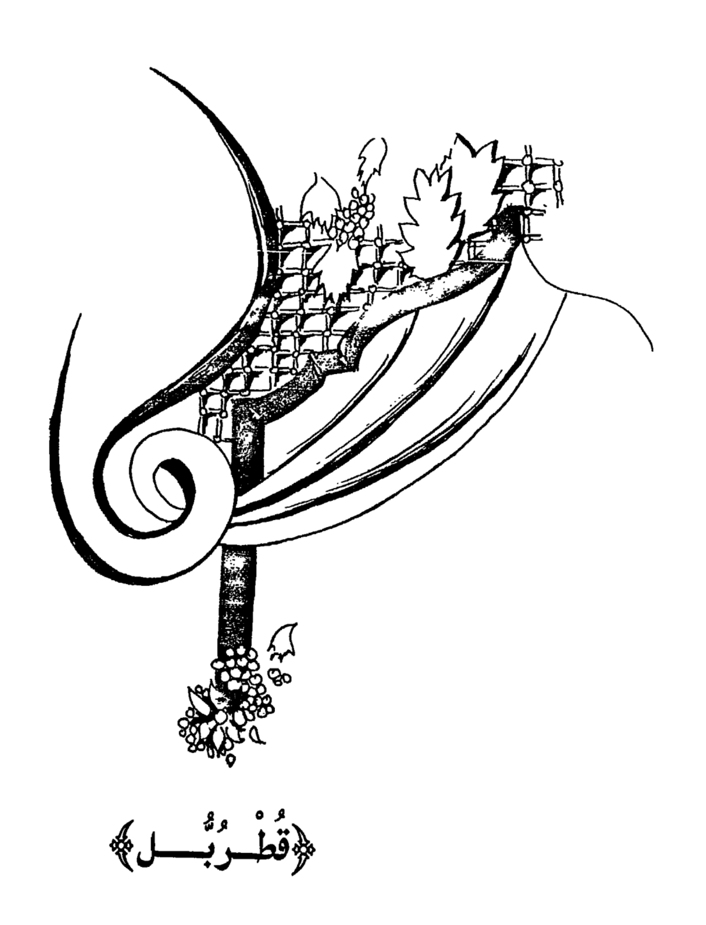
تَنَثَـــــى مُغَاضِبَـــــةً حـــقُّ مِثْلِهـــا الغَضَـــبُ
عينُهـــا علـــى أفـــقٍ أَخْلَفَـــتْ بـــه السُّـــحبُ
كـــلُّ مـــا لِفارسِـــها مـــن حَياتِـــه التَّعَـــبُ

* * *

قـــالَ لى أخـــو ثقـــةٍ لا تنالُـــــه الرِّيَـــــبُ
لا تَجِـــدُّ فـــى زَمَـــنٍ كـــلُّ أمـــرِهِ لعـــبُ
ضـــاحكٍ بـــلا ســـببٍ عـــابسٍ ولا ســـببُ
كرمُنـــا لنـــا وطـــنٌ مـــن هباتِـــه الشُّـــهُبُ
السُّـــرُورُ ضَحْوَتُـــهُ والأصـــائِلُ الطَّـــربُ
ليـــسَ منْـــهُ مُلْتَجِـــفٌ بـــالتُّـــرابِ محتجـــبُ

نحـــنُ فـــى الرِّبـــاط بـــه   للشَّـــــوابُ نحْتَســـــــبُ
بــــالقداحِ مشـــــرعةً   للظَّــــــلامِ تنتهـــــــبُ
ذلَّ مـــن لغَـــيْرِ شَـــذَى   فـــى الكئـــوسِ يَنْتَســـــبُ
فاشـــــربَنْ معتَّقَـــــةً   سَـــائِلاً بهـــا الذَّهـــــبُ
نَمْتَطِـــى بهـــا زمنَـــا   يُمْتَطَــــى بــــه الأَدَبُ

* * *



﴿قُطْرُبُّل﴾

"قُطْرُبُّــلٌ" جنّـــةٌ ســكنّـاهـا

كرْمٌ رحيـــقُ الخلودِ ثَدْيَاهــــا

نـالُ منهــا القطــوفَ دانيـــةً

ونُـــرْزَقُ الطيِّبَـــاتِ أشْبَاهــا

ما زالَ فيهـــا بالطُّهـــر آدمُهـــا

ولم تَـــزَلْ بالنّقَـــاء حَوّاهــــا

* * *

إلى سنَـاهَا نَسْعَـــى على قَـــدَمٍ

أم أنّهــــا النجـــمُ ركِبْنَـاهـــا ؟!

ونحنُ منهـا فى الأرض نســـلُكُها

أم أنّنَا فى السَّمَاءِ .. نغشاهـــا ؟!

* * *

إذا أضــــاءتْ أفنــانُ كرمِتهـــا

ورنّمَـــتْ بالهـــوى عَشَايَاهــا..

أقـــولُ : "قُطْرُبُّـــلٌ" وجنّتُهـــا

فــــدعْ لدنيـــا الورى دَنَايَـاهـا

وانعَمْ بكـــأسٍ عـــلى رُبَى زمـــنٍ

من الشَّـــذَى يَلْتَقِـــى نَدَامَاهـــا

مـــالى وأوهـــامِ امَّـــةٍ حَسِـــرَتْ

عـــن أن تَـــرُودَ الضِّياءَ عَيْنَاهـــا

أغْفَتْ على عَجْـزِها وقد تركـتْ

حُمْلانَهـا للذِّئَـــابِ تَرْعَاهـــا !!

* * *

قـالتْ .. ومالتْ بالرأس نشوتُها :

لى نشـــــوةٌ لم أَزَلْ أشَهَّـــاهـــا

فقلتُ : مهلاً .. غَوَى بها سـلفٌ

وكـانَ من نَسْـــلِهِ ضحاياهـــــا

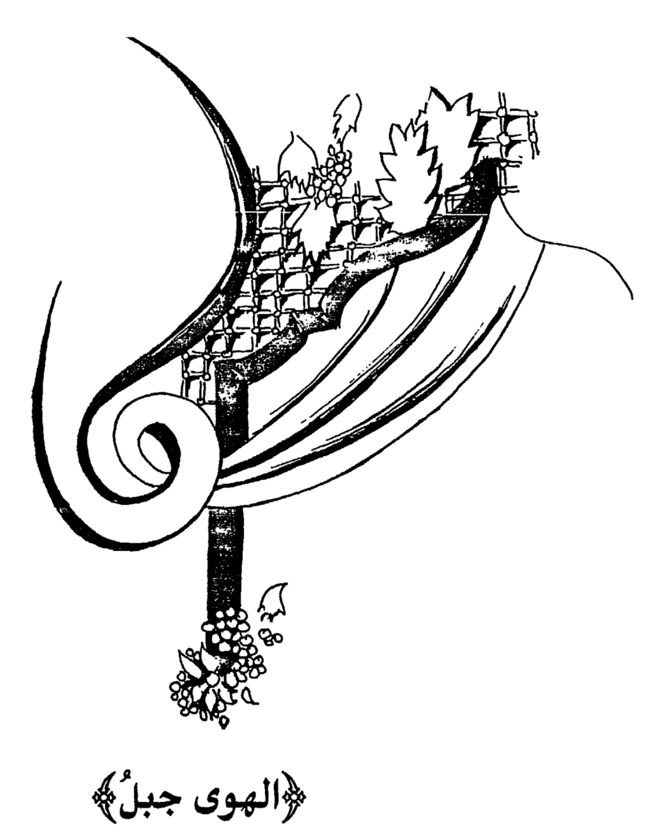
"قُطْرُبُّـلٌ" نحـــن .. مـــا لكرمتِهـــا

إلا بنـــا ريُّهـــا .. وريَّاهـــا !!

لا تُطْفِئِى الحُلْمَ .. لـــن نُرَى أبـــدًا

نَبْكِى عـــلى جنَّـــةٍ حُرِمْنَاهَـــا

* * *



﴿الهوى جبلٌ﴾

دعْ مــــا تُنمِّقُــــهُ وتفتــــعِــــلُ

وتعالَ .. هذا اليومَ .. نَرْتَجِـــــلُ

سئمتْ وجــوهُ الشِّــعــر أقنعـــةً

رُحْنا نُحمِّلُهـــا .. ونَحتَمِـــــلُ !

وتجمَّــــدتْ فينــــا مَشَــــاعِرُنــــا

مِمَّـــا نُزَيِّفُـــــهُ ..ونَنتحِـــــلُ !

* * *

قلْ مــــا يَعِنُّ .. وســــوفَ أتْبِعُـــهُ

قـــــولاً بــــه ينْمُـــو ويكتمِـــلُ

إن قلتَ: قدٌّ .. قـــلتُ : معتــــدلٌ

أو قلتَ طرفٌ .. قلتُ : مُكتحِلُ

عبثٌ بـــه نُحْيِـــى طفـــولتنـــا

فـــى واهنٍ بالعجـــزِ يَشْتمِـــلُ ..

وبـراءةٌ قـــد غَـــالَهـــا زمـــنٌ

فى أمــرِه قـــدْ أعيـــتْ الحِيَـلُ

هيَّـــا .. وأَبْـــقِ اللَّفْظَ مشتَعِلاً

هل نحنُ إلا اللَّفْـــظُ يشْـــتَعِلُ ؟!

* * *

(سلبتُ فـــؤادى .. قلتُ : فاتنةٌ

ومضى بعقلى .. قـلتُ: مُرْتَحِـــلُ

ليلى تقـــول؟ .. أقـــولُ : لاهيـــةٌ

سِـــحْرٌ تقولُ ؟ .. أقولُ : يَخْتَبِـلُ

ووقفـــتُ أبكى .. قـلتُ : يا طللُ

مـــا عـــدتُ أدرى أيُّنـــا الطَّلَلُ

شـعـرٌ تقولُ ؟ .. أقولُ : ليس لنا

لفظٌ تقول؟ أقـــولُ : مبْتَـــذَلُ !!)

* * *

عـــدْنـــا نُـــرَدِّدُ لفْـــظَ أوَّلِنَا

لا نحنُ غادرْنـــا ... ولا رَحَلُـوا !!

كُنَّـــا نَـــرُومُ لِرُوحِنَـــا نَهَـــرًا

فيـــه مـــن الأَدْرَانِ مغْتَسَـــلُ

فـإذا بنـا نُفْضِـي لآسـنَـةٍ

كم ذا عليـها حَـوَّمَتْ إِبِـلُ !!

* * *

مـن ذا تَـلَبَّسَـنَـا ؟ .. أعنترةٌ

أم قيـسُ .. أو تـاريخُنـا الغَزِلُ

أو أنَّهـا لغـةٌ مُجَسَّـدَةٌ

فيـنا.. وما عنها لنـا حِـوَلُ ؟!

من خَيْمَـةٍ طَـلَعَتْ تَـلَقُّطُنـا

وتصُوغُنـا قَسْـرًا فَنَمْتَثِـلُ !!

طبَعَـتْ بِميسَمِهـا عـلى دمنـا

وبـرسْمِهـا سُـكَّتْ لنـا المُقَلُ

مهمـا ابتعَدْنـا فـالهوى جَبَـلٌ !!

مهمـا ركبنـا فـالهوى جَمَلُ !!

مهمـا تَنشَّـقْنَـا فعـنْ خَبَـرٍ

أَلْـفُ العَرَارِ بأفقنـا يَسَـلُ !!

* * *

مــا عــن هُرَيْـرَةَ ثــمَّ مُرْتَحَــلُ

ووداعُهـــا مــا طــاقَــهُ رجُـــلُ

نغشُــو لنـــارِ فـــى مَرَابِعَهـــا

وتــروقُ إذْ تمشـــى وتَنْخَـــزِلُ

ما عادَ يُجْـــدِى بعد مــا ملكـــتْ

أَمْـــرَ النُّهى ريْـــثٌ ولا عَجَلُ !!

* * *

أمســـكْ إذَنْ فــاللفظَ يملكُنـــا

وتقودُنـــا فـــى أرْضِـه السُّبُلُ

لأكــادُ أبصــــرُ حـــىَّ أحرُفِنَا

لرءُوسِـنـــا الجوفَـــاءِ ينْتَعِـــلُ

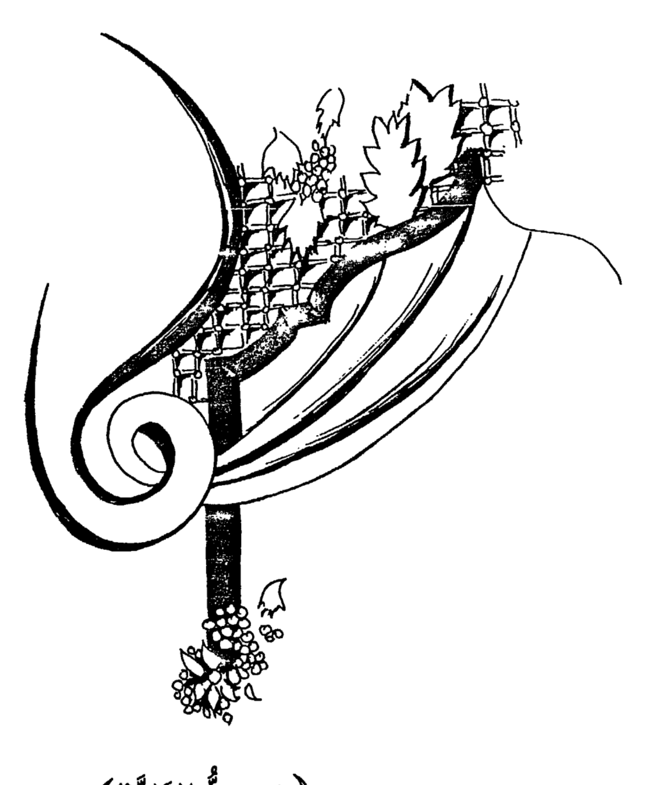
قـــل لى إذن: من منهمــا تَبَـــعٌ

الصُّـــوفُ محمــولاً أم الحَمَلُ ؟!

فــلعلّنــا نـــدرى؛ ألحنُ هنـــا

نحيــا .. أم انَّ اللّفــظَ يرتجــلُ

* * *



﴿شـــرُّ البَليَّة﴾

فى الليـــالى العابِثَاتِ الفوضويَّـــــه

كنْ ذُبَابَ السَّيف أو دَمْعَ الضَّحِيَّـــه

لا تـــرُمْ للحـــبُّ دارًا .. إنَّمَـــا

دارُه خـــلفَ التُخُـــومِ الآدميَّـه !!

أىَّ "قيـــسٍ" تَبْتَغِى يـا صاحبـى ؟!

أىُّ "ليلى" هى "ليـــلى العامريَّـــه" ؟

قمـــــرُ الأَخْـــلامِ إن قـارَبْتَـــــه

ليس إلاَّ بعـــضَ أرضٍ حجـريَّـــه !!

* * *

نحــــنُ أبــنــــاءُ سَـــلِيــــلَىْ آدمٍ

ودمٍ يصـــرُخُ فى ليـــل الخَطِيَّـــــه

نَابِـــتُ الحيَّـــاتِ فى أجســـادنـا

ليس تخفيـه الثيـــابُ المخْمَليَّـــه !

والأكاليــــلُ عــلى هـــــامَـــاتِنا

شــــوكُهـا تحت الغَوَاشِي الذهبيَّـــه !

* * *

لا تَغُرَّنْـــكَ الدَّعـاوَى بُهْـــرِجَـــتْ

والحكايــــا .. والأهازيـــجُ الطليَّـــه

وركـامٌ من حـمـاقـــاتِ الــــوَرَى

فى ركـــامٍ مـــن خُــرَافَاتٍ غبيَّـه

واختلاجـاتٌ بعَيْنَـــىْ كــاهـــنٍ

تخِـــذَ الدِّيـــن إلى الدُّنيــا مَطِيَّــه

لعبــةٌ أوراقُهـــا مغشـــوشـــــةٌ

ورِهــــانٌ فيـه لم تُرْعَ السويَّـــــه !!

* * *

لم تُعَلِّمْنـــا الحضــــاراتُ ســــوى

أن وَضَعْنَـــا للمخــــازى أبجديَّــه

فـــا كذِبـــوا .. لكـــن بلفظ متقَـنٍ !!

واقتـــلُوا .. لكن بروحٍ شـــاعريَّه !!

واســـرقوا .. لكن على أن تَغْمُـــرُوا

مـــن ســـرقتُـــمْ بالنَّدى والأريحيَّه !!

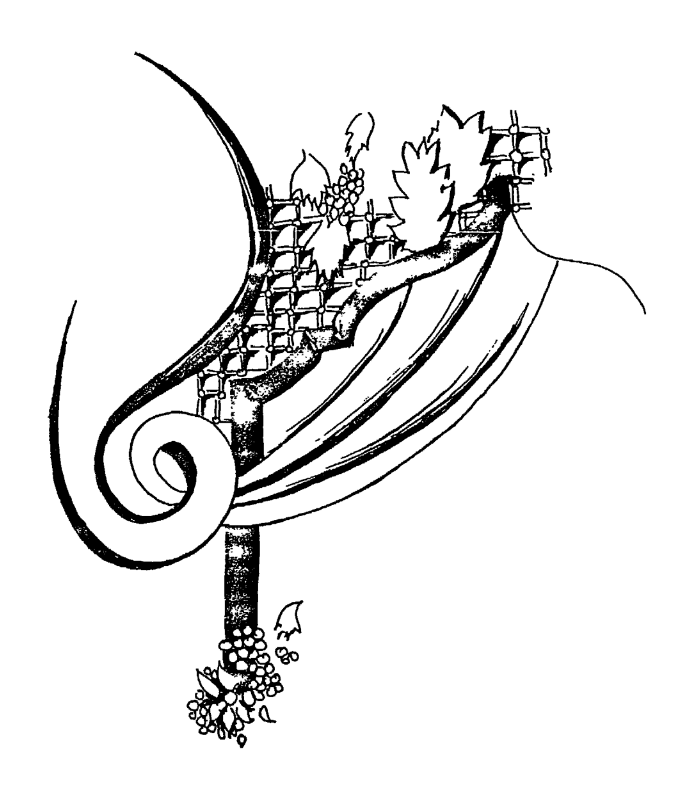
واغــــدروا غـــدْرًا نبيلاً .. لا تَــرَى

فيـــه سهـــمَ الغدرِ أحداقُ الرَّمِيَّه !!

واضحكـــوا مـــا شِـــئتُمُ من بؤْسِكُمْ

إن مـــا يضحككُـــمْ شـــرُّ البليَّـــه

* * *



﴿الدنيا لنا خُلقَت﴾

دعْ لهمــــومٍ دُجَـــى سَهَـــرِه

واجْـــنِ من ليـــلٍ سَـنَا قَمَرِه

خـــذْ مـــن الأيَّـــامِ بهجتَهـــا

واصفُ يصفُ العيشُ من كَـدَرِه

ليـــلُنـــا غنَّـــى عـــلى نغَـــمٍ

صادحاتُ الطَّيْرِ مـــن وَتَـــرِه

والشَّذَى قـــد رفَّ فـــى أَرِجٍ

تســـبـــحُ الأفلاكُ فـــى نَهَرِه

فاسْقِنِيهـــا مـــن معتَّقَـــةٍ

تبرُهـــا قـــد مـــاجَ فـــى دُرَرِه

كأسُـــها قـــد صُوِّرَتْ عجبًا

مـــن طُيُـــورِ الرَّوْضِ أو زَهَـــرِه

فكأنَّ الـــرَّوْضَ فى يـــدنـــا

وسمـــاءَ الخمـــرِ فـــى مَطَـــرِه

منظـرٌ أحْيَـتْ بــه جَمَـدًا

مــن مــواتٍ كـفُّ مُختَفِره !!

* * *

هــذه الدنيــا لنــا خُـلقَـت

آدمٌ فيــهــا أبُــو قَــــدَرِه

شمسُـــه من صنـع راحتِـــه

وضيــاهــا من سَـنَا فِكــرِه

وجنــاحُ الحُلْمِ مــركبُــه

ونجــومَ الأفــقِ من سُــرُرِه

فــلمــاذا حَــطَّ مُتَّضِعًــا

تَــاجَــه .. وانْسَلَّ فى خَوَرِه

فبنــى مــن لَيْــلِــهِ جُــدُرًا

وانْــزَوَى يشــكُو عَشَا بَصَرِه

يَــوْمُــهُ أفْعَــى تــروِّعُــه

مــا خَطَــا إلا عَلَى حَــذَرِهِ

شــجـــرٌ للوهــم يغرسُـــهُ

ويــذوقُ المرَّ مــــن ثمــره

* * *

مشـــهدٌ قـــد بــاتَ يُحْزِنُنِي

لِغَـــوِيٍّ لجَّ فى خَـسَــــرِه

القَفَـا قـــد صـــار فى قُبُـلٍ

منــــه والعينـــانِ فــى دُبُـرِه

يَمتطــى أصــــداءَ قـــاحلـــةٍ

ودَّ لَــوْ تُدْنِيـــهِ مـــن نَفَـــرِه

غــــدُه فـــى الأمْــسِ منتثِــرٌ

والقَفَـافِـــى مُنْتَهـــى نَظَـــرِه

يَحْسَـــــبُ الأيَّـــامَ مقبــلــةً

وهو مسْـــتَلْقٍ عــلى غَــرَرِه

كـــلَّمــــا نَابَتْــــهُ نـائبــــةٌ

صالَ بالمَخْزُونِ مــن ذَفَــرِه !!

* * *

قـــلــتُ يومًـــا : ثوبُنا خَلِـقٌ

فاخْلَعُـــوا المُغْبَــرَّ مــن وَبَـرِه

والبسُـــوا من كرْمِنَا حُـــلَلاً

وُشِّيَــتْ بالنُّورِ مـــن غُـــرَرِه

قلت يومًا : نهرنـا غَـدَقٌ

فـاستَظِلُّوا الدَّوْحَ من شَجَرِه

ما فجـاجُ الشَّـوْكِ واهبـةٌ

غيرَ م نَجْنِيـهِ من إِبـره

* * *

قلتُ.. كمْ قلتُ .. فما فَطِنُوا

لمقـالٍ جَـدٌّ فـى سَخَرِه

وتنادَوْا بـى كمـا دَنَـس

قدْ أصـابَ الطُّهْرَ فى عُقْرِه؛

أَسْكِتُوا الشيطـانَ فى فَمِـه

وأريحُـوا النَّاسَ مـن دَعَرِه

ونَسُـوا أن الأُلى سَـلَفُـوا

مـن حَمِيءٍ نحـنُ من صُوَرِه

قد بَنَوْا فـى البيـدِ عالَمَهُـمْ

مثْلَمَـا نَبْنِيـهِ فى حَضَرِه

* * *

ما لنـــا والرَّبـــعِ نسألُـــــه

عــن نِعَـاجِ القَفْرِ أو بَقَـرِه ؟!

ذاك ماضــــى أمَّـــةٍ ذهبتْ

ورميـــمٌ رمَّ فـــى حُفَـــرِه

قل لمن يبكـى عـــلى طَـلَلٍ :

ما الذى ترجُـوه من حَجَرِه ؟!

أتُرى لو عـــادَ سَـاكِنُـــه

سيعــودُ الدَّهرُ فى أَثَـرِه ؟!

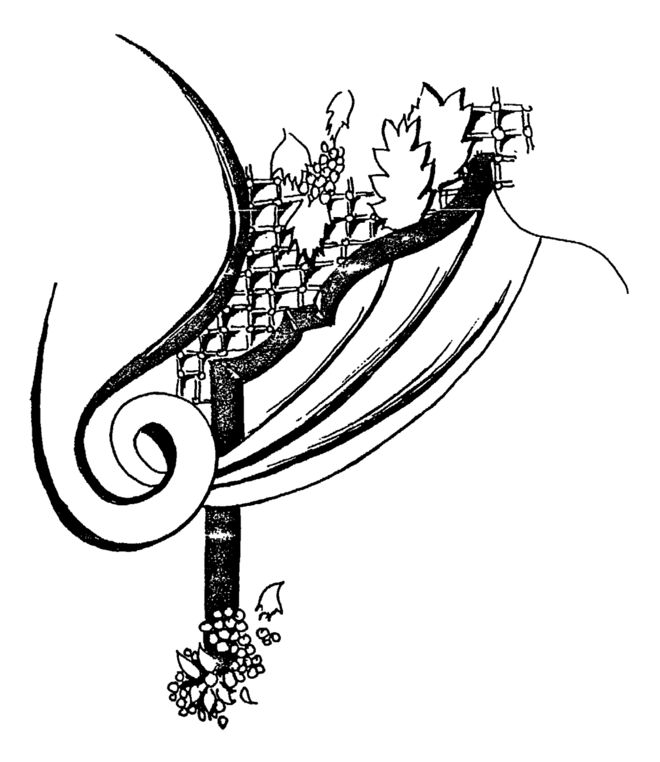
أمــس ولَّى وانْطَوَى خَبَـــرٌ

ولنـــا اليـــومُ بمُخْتَبَـــرِه

فانتـــزعْ عينيْـــك من حُلُـمٍ

قـــد لبِثْـتَ العُمْرَ فى خَدَرِه

* * *



﴿أيُّنا فى كَفِّهِ الذَّهَبُ﴾

إذا أطـافَــت بــليـلِك الرِّيــبُ

فاشــربْ .. فأمُّ الحقيقة العِنَــبُ !!

وصُلْ على الدَّهــر بالتى هَــتكَــتْ

ظلامَه من كُئُوسِــها الشُّهُــبُ..

رضيــعُهــا لا تُطِيـــقُ أنجمُـــه

حُجُبًا ... وليســت تُطِيقُهُ الحجُبُ

يقــولُ للدهـــر حيـــن تلبَسُـــهُ :

لســوف تــدرى لأيِّنـــا الغَلَــبُ

فَسَاقِنَا مـــا تشــاءُ مــن عَنَــتٍ

والعبْ بنا.. ما حــلا لك اللَّعِبُ !!

* * *

كنَّا رفيقين فى الصِّبـــا .. سَــبَقَتْ

بنـــا خطـــانا الألـــواحُ والكتبُ

يَمْضِى بنـــا اليــومُ فى مُدَارسَـــةٍ

واللَّيْـــلُ يأتِى فيســـهــرُ الطَّلَــبُ

ثمَّ امْتَطَيْنَا البروقَ .. وانطلقتْ
بنا رياحٌ .. وأبْعَدَتْ سُحُبُ
وأمطرتْنا خِلْفَيْن؛ ذا سَخَر
يلهُو، .. وحَبْرًا تُجِلُّهُ الرُّحَبُ

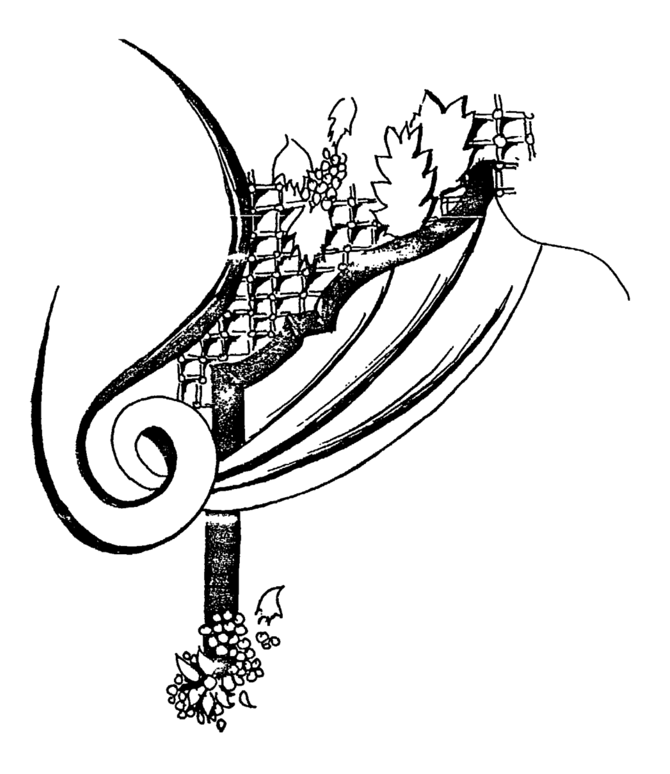
* * *

أمَّان؛ طارت إحداهُما فَرَحًا
أُخْراهُما بالهموم تنقِلبُ !
هذى على الطيِّبات مقبلةٌ
وتلك للنائباتِ ترتقبُ ..
تقولُ أمٌّ : عَلاَ به رَشَدٌ
تقول أمٌّ : هَوَى به وَصَبُ
ونسوةٌ قد شَهِدْن حالهما
يقلْنَ : دنيا أحوالُها عجب !!

* * *

وقال لى صاحبى: لقد عَبَثَتْ
بك الليالى .. وخانَك الأرَبُ

وحطَّـك اللَّهْــوُ عن مَرَاتِبِنَــا
وكــانَ أولى بمثــلك الرُّتَــبُ
أمَا تَــرَانى والعلــمُ ســوَّدَنِــى
والجـاهُ فى راحَتَىَّ والذَّهَـــبُ ؟!
فقلــتُ : هـــذا قد كان من دَأَبى
لو أنَّ شــأنى الرِّيَــاءُ والكذبُ
هــل ثَمَّ إلا الأسـجاعُ صـاخبـةً
بالزَّيف منهــا تُمَــوَّهُ الخُطَبُ ؟!
* * *
دعْنِـى رفيـقَ الصبــا فَوِجهتُنــا
ليست سواءً .. والدَّربُ منشعـبُ
أمَامَكَ الأفــق فامضِ منطلقًــا
وخَلِّنِــى والشَّــرَابُ والطَّـربُ
يومًا ستَدْرِى .. والدَّهْــرُ ذُو غِيَرٍ
من كان منَّا فــى كفِّــهِ الذَّهَــبُ
* * *



﴿مــوتُ قَيْنَــة﴾

أَوْلَـــتْ المرآةَ عينًـــا حَنِقَـــه

وهَوَتْ فوق أســاها مُطْرِقَـــه

نصــفُ يومٍ مـرَّ .. لم تُفْلِــحْ لها

حِيلةٌ مـــن ألفِ ألفٍ مخْفِقَـــه !!

لم تعد تُجْدِى المســاحيــقُ .. ولا

مِبْضَـــعُ الجرَّاح فيمـا زوَّقــه ..

والحُلَى قــد ذَبُـــلَتْ فى ذابــلٍ

صُـفْرةُ المــوتِ بموتٍ محدقــه ..

نُدَبُ الدَّهر سطــورٌ رُقِمَـــتْ

تَتَحَـــدَّى كـــلَّ طِبُّ الحَذَقَه !!

* * *

كيف ضــاعَ العمرُ ؟! وامتدَّتْ يدٌ

تَتَقَـــرَّى صـــــورةً مُؤْتَلِقَـــه !!

أأنا تلك ؟! لكـــم أَغْوَى السَّـــنَا

بـــــذْرَه المختـــالَ حتى مَحقَــه !!

والصُّبَــا الوارفُ يزهــو عــودُه

أيــن منه اليابســاتُ المرْهَقَــه ؟!

فى سمائى كنــتُ رعْــدًا قاصفًــا

إن أشَأْ .. أو هــاميــاتٍ مُغْدِقــه

وبصــندوقــى نعيــمٌ ولظًــى

مُوثَــقٌ مــن رَامَ يومًــا مَوْثِقَــه

* * *

كــم تشــكَّــى لى فمــا أشكيتُه

عــاشــقٌ لم يجــن إلا حُــرَقَــه

ولكم صَــلَّى لعينــىَّ شَــجٍ

فيهمــا أَجْــرَى .. وأَرْسَــى زورَقَه

قيل لى : ثغرُك كَــرْمٌ .. قيــل لى :

لفظُــك الُمسْكِــرُ مــن ذا عتَّقَــه ؟!

قيــلَ لى : والشَّعْرُ مــن دَوْحِ الدُّجَى

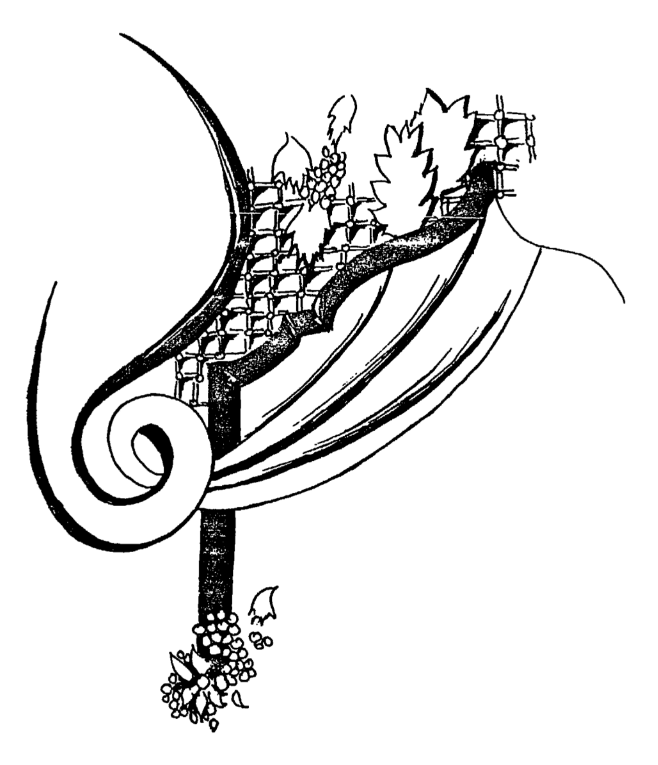
من تُرَى شَــقَّ بصبــح مَفْرِقَــه ؟!

* * *

قيــل .. ياما قيل .. نهرٌ من هَــوًى

صــبَّ فى حِجْــرِىَ يــومًا ملَقَــه !!

نشـــوةٌ تســـكرُ حـــوّاءَ ومـــن
أجـــلهـــا أَلْقَـــتْ لعقـلِ منطِقَـــه
لم تكـن حـــوّاءُ يـــومًـــا نفسَـــها
إنهـــا لفـــظٌ مُحِـــبٌ نمَّقَـــه !!
مـــا دَرَت أنَّ الـــذى أَلْبَسَـــهَـــا
تاجَهـــا عينُ الذى قـد سَـــرَقَـــه !
فـــإلامَ كـــلَّ يـــوم أغتـــدى
أَجْتَدِى عطفًا .. وأَرْجُـــو صَدَقَـــه ؟!
* * *
شـــرَدَتْ ... ثم نَضَتْ أثوابَهـــا
ومضـــت فـــى أُفْقِهـــا مُنْطَلِقه ..
فـــرأوْهـــا دمعـــةً جـــامـــدةً
تحت عيـــنٍ لم تـــزل مُسْتَنْطِقَـــه
فى يديهـــا شـــاهِـــدًا رحـــلتهـــا
عَبْرَ أَدْغَـــالِ السَّـــرَاب المُحْرِقَـــه
صـــورةٌ مخضـــلَّةٌ فـــى راحـــةٍ
وعلى الزِّينـــةِ أُخرَى مُطْبِقَـــه !!
* * *



﴿مملكة الكَرْم﴾

فى الكَـرْمِ لى مرتَقَــى ومتَّكَــأ

ولى زمــانٌ مــا نــاله الصَّدأ

تَهْوِى إليــه الطُّيــورُ ناطقــةً

ما هُدْهُـدٌ غائــبٌ ولا نَبَــأ

* * *

وكشَّفَتْ ســاقَهــا مُحَـاذِرةً

كأنَّها فــوقَ لُجَّــةٍ تَطَــأ

فقلتُ مَهْــلاً فــإنــه أَلَــقٌ

لم نَحْوِهِ فــى كُنُوزِهــا سَــبَأ

من سِــرِّهِ للشمــوس دورتُهــا

وعِنْــدَهُ تَنْتَهِــى وتبتــدئُ

هيَّا .. اصعدى فالصَّبَاحُ كَرْمَتُنَــا

ودعْــكِ مــن ليــلِ أُمَّةٍ صبأُوا

غَنَّيْتُ شــجوى فقِيــلَ: مبتــدعٌ

ورمتُ فَجْرِى فقيــلَ: مجترئُ !!

* * *

قــالت : ومـاذا يظنُّ بــى المَلأُ؟!

فقـلت : لا يَــفْتِنَنَّـــكِ المَـــلأُ

دنياهُـــمُ مـــا لنـــا بهـــا أربٌ

فــالرِّىُّ مـــا نَبْتَغِيــــهِ والكَـلأُ

والكَرْمُ ما تبصرينَـــه ... شُـهُبٌ

من العناقيـــدِ ليـــس تَنْطَفِـــئُ

لا يَعْتَـــرِى من تُظِلُّـــه سَغَـــبٌ

ولا شَكَـــا فى عُرُوقِــهِ ظَـمـأُ

* * *

أتـــلك أم صــولجـــانُ مملكـــةٍ

تَنَاهَبَتْهَـــا الغِربـــانُ والحِـــدَأُ

لا يعرفُ القلـــبُ فى هَواجِرِهـــا

من لَفْحَـــةِ الضَّيمِ أين يختبـــئُ

تَخَيَّـــرِى .. مـــا العنادُ مغتفَـــرٌ

إذا تبـــدَّى الصـــوابُ والخطأُ

* * *



﴿يا ليل .. يا عين﴾

يا ليلُ .. يا عينُ .. كمْ يَشْقَى بدُنْيَـــاهُ

من ليـــس تخدعُـــه بالزّيْفِ عَيْنَـــــاهُ

يا ليلُ .. يا عينُ .. قد حارت مَعــازِفُنَـا

وبـــات ينكـــرُ لفـــظَ الشّعرِ معنـــاه

يا ليلُ .. يا عينُ أمْسَى شـعـرنا رَهَقًـا

أنَحْنُ فرســـانُه أم نحن صرعــــاه ؟!

* * *

قالوا : إذا شئتَ فاذهبْ للخصيبِ تنل

فـــوق الذى تَتَمَنَّى مـــن عَطَايَــــاه

هـــنــالِك النَّهْرُ يُمْنَـــى بالنُّضَارِ هَمَتْ

وبالمَجَانِـــى الأَمَالــــى مـــدّ يُسْـــراه

لكنّنِـــى بَعْدَمَـــا أزْهَقْـــتُ أغْنِيَتِـــى

وقلتُ مـــا لم يقـــلْ قيـــسٌ بليـــلاه

أعودُ.. لا النَّهرُ ساغتْ لى مشـــارِبُـــه

ولا الخصيـــبُ خصيـــبٌ حين تَلْقَـــاه

يـا ليل .. يـا عين .. من للسِّرُّ يَرْعَـاهُ

إن ضَـاقَ صـدرٌ وليلُ الهمِّ أَضْنَاهُ ؟!

* * *

أغفـى النخيل على الشَّطَّيْنِ مُنْهَـدِلاً

والنَّهْرُ يسـحبُ عبرَ الدَّمْـعِ مَجْـرَاه

وللمَـوَاوِيـلِ آهـاتٌ ترجِّعُهـا

على حبيـبٍ عبيـرُ الحُلْـمِ ذكـراه

وللسَّوَاقِـي البَوَاكِي فى الفَضَاءِ صَـدًى

على غُصُـونِ الجَـوَى ناحَـتْ ثَكَالاه

وأَوْثَقُوهَـا لجِذْعِ اللَّيـلِ عـارِيـةً

يسـومُها السَّـوْطُ إِذْ عَانَـا وتأْبَـاه

يا ليلُ .. يا عينُ .. من للفَجْرِ نُرْسِـلُهُ

لعلَّـه بالْمُنَـى يُزْجِـى سَـرَايـاه ؟!

* * *

يا شـاعرًا يَتَمَطَّى فـوقَ أَحْرُفِـهِ

مُـدَّ السِّمَـاطُ فكلْ مِمَّا تَشَـهَّـاهُ

قــد ســلّم الله مــا للخبزِ السِنَــــةُ

ولا الحُسَـــــاءُ لــه كــالنـّاسِ أفْــوَاهُ

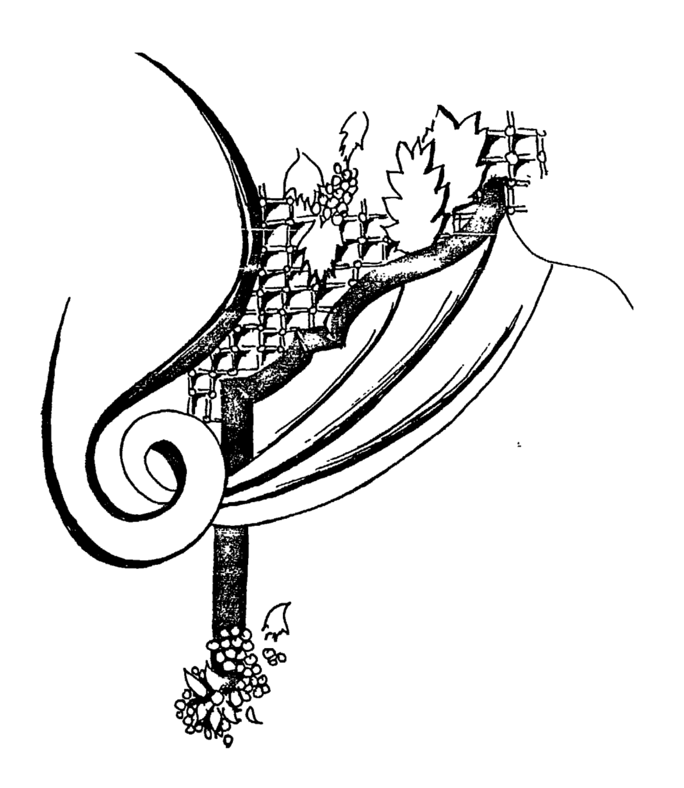
إذَنْ لَبُــؤْنــا بِخِزْيِ الدَّهْــــرِ نَلْبَسُــــه

وقـــد عَرَفْنَــا الذى كـــنّا جَهِــلْنَــاهُ

يا ليلُ .. يا عينُ .. قد غُمَّتْ مَسَـــالِكُنَـا

فأيـــن نَمْضِى وكــلُّ الناس أشـــباه؟!

* * *



﴿آخر العهد به﴾

على بُـرَاق من نُـــورِ كاسيْــنِ
كنّـــا مـــن الحُلْمِ قـابَ قوسيْــنِ
تمضى بنا الأمسيـــاتُ ضاحكَـــةً
ويَزْدَهِـــى ليلُنـــا بنجميْـــن !!

* * *

وقال : اســرِجْ خيُولَ كرْمَتِنَـــا
ففى غـــدٍ مُلتقـــى الفريقيْـــن
وقال: أخْشَـــى إن فـــاتَنَـــى دَرَكٌ
لمـــا أُرَجِّـــى أبَالـــسَ الميْـــن
إذا كبـــتْ بـــالجـــواد عَثْرَتُـــه
أمْسَـــى عُـــوَارًا ما فيه من زَيْـن
والنَّـــاسُ إنْ زلَّ غـــالبٌ نَفَضُـــوا
يَدَيْـــنِ مـــنْ أمْـــرِه وخُفَّيْـــنِ !!

* * *

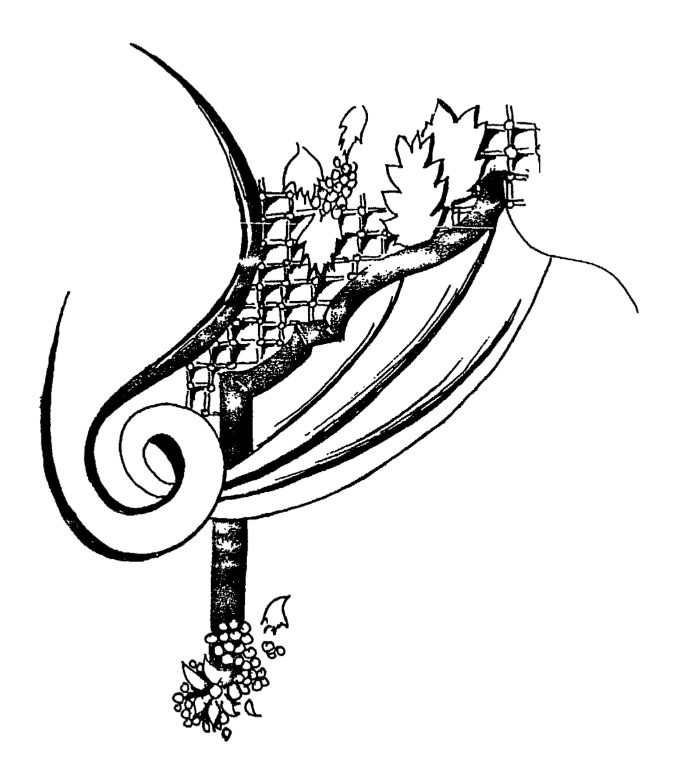
إن عِشْـتَ بعدى فاذكرْ لمن جَهِلُوا
أســـرارَ كَـــرْمٍ نَمَتْ عَلَى عَيْنِـى

وكـــانَ فيهـــا النَّقـــاءُ مـن دَرَنٍ
وكان فيهـا الشُّفَـــاءُ من رَيْـــنِ
مضيتُ عنهُ .. ما دارَ فى خَـــلَدى
أن يَعْبَـــثَ المـــوتُ بـالنديمَيْن !!

* * *

وجـــاءَنى بعـــدُ مـــن يُرَاوِدُنـــى
عـــن مَوْثِـــقٍ كـــان بين خِلَّيْن
يقولُ : سهـــمٌ أوْدَى بكَرْمَتِـــه
فـــلا تكنْ ثَـــمَّ ثَانِـــىَ اثْنَيْـــن
يقول: عهدٌ مَضَى .. فَدَعْ جَدَثًـــا
وانهـــضْ لعهـــدٍ يُعطِـــى بكفَّين
تَحدَّرَتْ دمعتـــان من شَجَـــنٍ
وخطَّتـا بـــالعبيـــر سطْرَيْـــن
وقلتُ : مهلاً .. فـــلن أرَى أبَدًا
أسِيـــرُ بين الـــوَرَى بوَجْهَيْـــنِ
ولْتَتْرُكُـــوا للطَّغَـــامِ كَرْمَتَنَـــا
فالكَـــرْمُ كَـــرْمٌ ولو بفلسَيْـــن

* * *



﴿كانَ ياما كان﴾

ما ســـلافُ الخمر أو حَبَبُه ؟!

صوَّحَ الكَرْمُ ... فما عِنَبُــــه ؟

لا تَهُـــزُّى جَـــذْبَةُ ... يَبستْ

فى مَجَالِى غَرْسِـــهِ رُطَبُـــه

مـــا تَبَقَّـــى من غَضَـــارَتِـــه

غيرُ عودٍ شـــائكٍ حَطَبُـــه

شـــاخِـصٍ .. يـرنُو إلى أُفقٍ

مُخْلِفَـــاتٍ وعدَهـــا سُحُبُه !!

* * *

كـــانَ يـــاما كانَ .. أىُّ فَتًى

ســـاحراتُ اليَمِّ تَستَلِبُـــه ؟!

أَوْمَضَتْ .. فانســـابَ زورقُـه

ونَضَتْ .. فاصطَكَّ مُضْطَرِبُه !!

لُجَجٌ مـــن فـــوقِهـــا لجـــجٌ

وغـــواشٍ للـــرَّدَى تَهَبُـــه ..

يلبسُ الأمواجَ .. تَخْلَعُهُ

يحرُبُ الألواءَ .. تحْتَرِبُه

لظَليلِ .. قيلَ : من أرَجٍ

وخَميلِ أرضُهُ ذَهَبُه

وزمانٍ مُورقٍ .. صَدَحَتْ

أيكُهُ .. واخضَوْضرتْ حِقَبُه

وعَذَارَى إن شَدَوْنَ شَكَا

طينَه .. من طِينُه حُجُبُه

كلُّ من غنَّينَ مُخْتَبَلٌ

بُرْؤُهُ من دائِه وَصَبُه

* * *

أيُّ شيءٍ عادَ يَحْمِلُهُ

من غِمَارٍ هادِرٍ صَخَبُه ؟!

وبروقُ الحلمِ ما وهبَتْ ؟!

أنجومُ الأفقِ أم شُهُبُه ؟!

أَقَضَى من حُلْمِهِ أرَبَا

أمْ تُراهُ ما انْقَضَى أرَبُه ؟!

أتُــــراه ذاك .. أم جَسَـــــــدٌ

مُثْخَـــنٌ قـــد لَفَّهُ عطبُـــه ؟!

وحكايـــا كلّمـــا نُكِئَـــتْ

ثـــــار حــزنٌ مُحْرِقٌ لَهَبُه

ودمـــــوعٌ كــلّما رَقَـــأَتْ

بعثَتْهـــا حيَّـــةً نُــدَبُـــــه !!

* * *

فَدَعِيــــهِ ... إنّـــهُ قَـــــدَرٌ

يَقْتَضِي ما سَطّرتْ كُتُبُـــــه !

واغزلِي من صَحْوَةٍ أَمَـــــلاً

نَقَضَتْـــهُ فـــى الدُّجَى كُرَبُــه

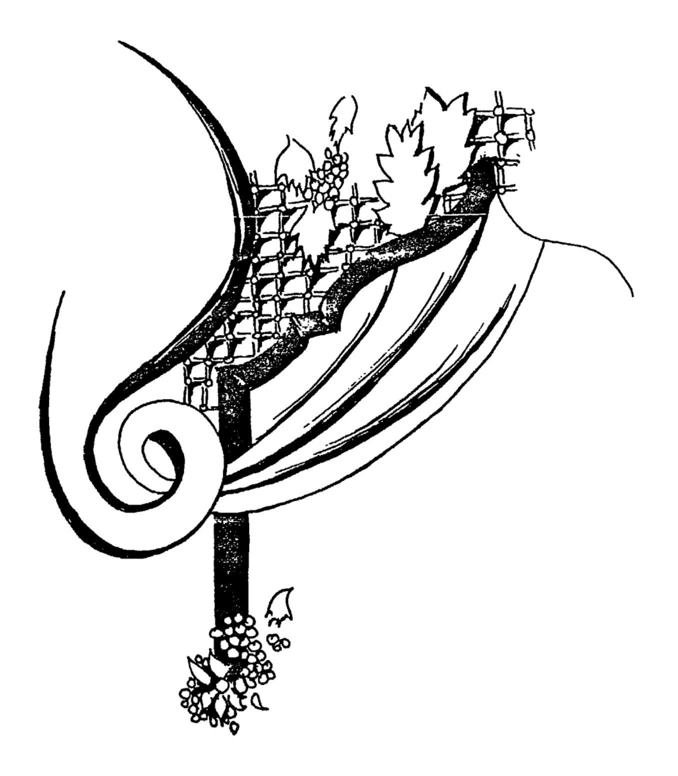
ربّما مـــن أَسْرِهـــــا رَجَعَتْ

رُوحُـــه والتـــامَ مُنْشَعِبُــه

وهــفَا للكأسِ يَشْـــرَبُهـــا

وصــحـا فـــى لَيْلِـــه طربُه

* * *



﴿من أوراقـــه :﴾

(١)

عناقيـــدُ كَرْمِي فتـــنةٌ كم سما لها
أناسٌ .. وما جادتْ لغيرِ صديـــقِ
تقولُ لهم : بالحبِّ دارت مَعَاصِرى
فكيف يذوقُ المُبْغِضُون رَحِيقِى ؟!

(٢)

وراحُوا يســـألونَ اللَّيْـــــــلَ، من حانٍ إلى حَـــانِ
ومن حانـــوتِ خمَّارٍ إلى كرْمَـــةِ بُسْـــتَـــانِ
وأَضْحَكُ من حَمَاقَتِهِم فما فى الأَرْض مَيْدَانِـــى
ومن عجـــبٍ يظنُّ النَّـــــــاسُ أن اللَّفْـــظَ عُنْوانى !!

(٣)

هَفَتْ إليه وغَنّتْ وللوصال تمنّتْ
شقّتْ دروبَ الدَّياجى وكابَدَتْ وتعنّتْ
وحين كشّفَ وَجْهَا من صَعْقَةِ النُّور جُنّتْ !!

(٤)

وأشْرَبُ الرَّاحَ وحْدى
إنْ لَمْ أجِدْ من أُنَادِمْ
مِنّى الرحيقُ ... ومِنّى
فى الرَّوْضِ سجعُ الحمائمْ
ولى بنفْسِى غَنَاءٌ
عن كلِّ غاشٍ وغاشِمْ
ماذا هنالك يدعُو
إلى احتمالِ البهائِمْ ؟!

(٥)

إن كـــانَ يُغْضِبُ شـعْـرِى

ذوى النفـــوس الضِّعَـــافِ

وقيـــل : فـــاحـشُ لفـــظٍ

تَعـــفُّ عنـــهُ القَـــوَافى !!

فقـــل هـم : لم تُـــرَاعُـــوا

قـــــواعِـــدَ الإنصَـــافِ

فـــاللفْظُ صُـــورةُ عَصْـــرٍ

نَضَـــا ثيـــابَ العَفَـــافِ !!

(٦)

فى النَّاسِ قــومٌ مالهـم من دَهْرِهم إلا الصَّفَاقَـه

لبسُوا رداءَ العلم واقْتَــــحَمُوا على جَهْلٍ رُوَاقَـه

لا يَلْمُسون سوَى القُشُــــورِ وما لهم باللُّبِّ طاقَـه

مــا علمُهـم إلا الّذى جادتْ به دورُ الورَاقَه !!

(٧)

يزهّدنا فـى الطيّبـــات معاشِـــرٌ
ويختلــون النّــاسِ بـالعبـــراتِ
وإن أنت حقّقـتَ الوجــوه رأيتَهـم
شـــياطيــنَ إنسٍ في ثيـــابِ تُقَــاةِ
أكبُّوا على الدنيا .. وكظّتْ بُطُونُهم
وضَــنُّوا عـــلى الباقينَ بالفضـلات

(٨)

لاحت لِيَ اليومَ في حِدَادِ تَبْكِي وتَذْرِي الدُّمُوعَ دُرًّا
بالرَّغمِ مـن كلِّ ما تُعَـانِـي رأيتُها في السَّمَاءِ بَـــدْرا

(٩)

تقول: حاذر وارتقـــبْ فقد تَغَشَّـتْــكَ الرِّيبْ

فقـلــتُ: يــا صغيرتى قــد ضَـــلَّلوك بالكَذِبْ

مــا غَيْرَةً قــد أشْـرَعُوا للفتْكِ أســيافَ الغَضَب

لكــنَّ مــا أهَـاجَهُـــمْ كَشْــفِى لأوراقِ اللّعِب

(١٠)

إن قلت رأيًا فقل خلافـــــة

وقــفْ على آخرِ المسَافَــه

فلستَ تدْرِى من أىِّ صَوْبٍ

تكـــونُ أَوْلَى بــك المخَافَه

(١١)

الخُلْـــفُ للنّـــاس امتلَـــكْ
كـــلٌّ لـــدربٍ قـــد سَـــلَك
يـــا حـــاملاً مـــن حَمَّلَـــك ؟!
مـــن ذا بنَـــا قـــدْ وكّلـــك ؟!
عجُـــــلْ ودارِكْ زَلَلَـــــك
مـــن غُـــرَّ بـــالعقْلِ هَلَـــك !!

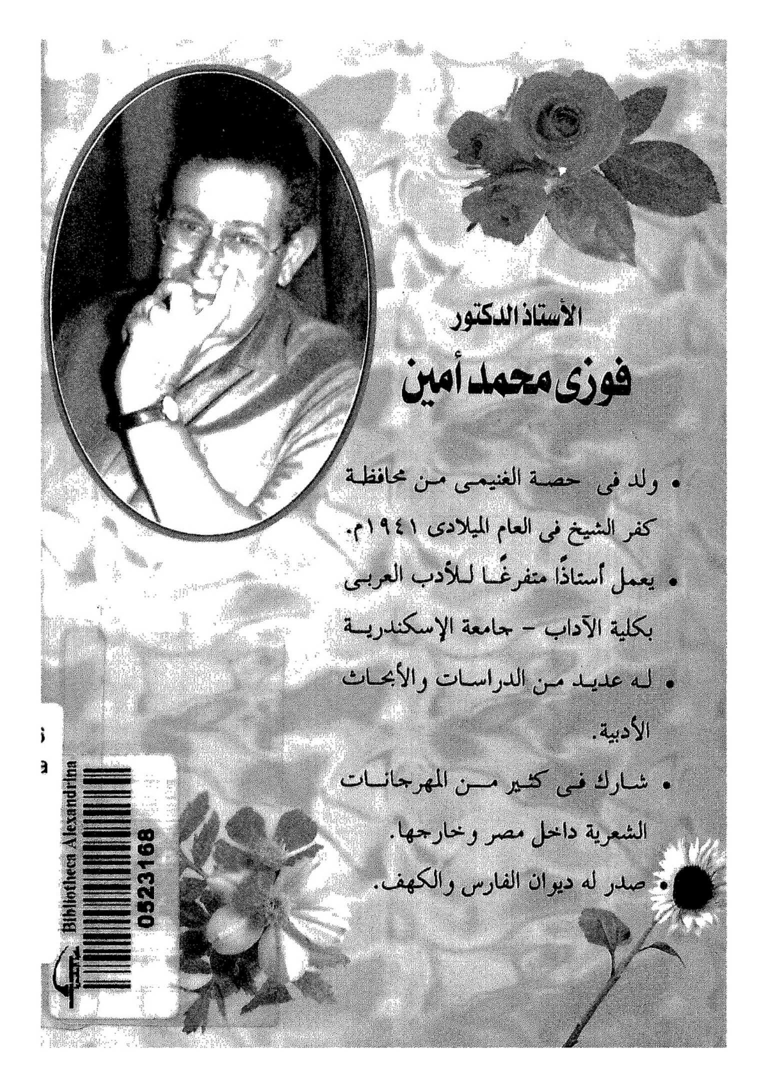
* * *

يـــا ربُّ والـــدَّربُ حلـــك
أَنِـــرْ لعبـــد سُـــبُلك
وكـــنْ لـــه حيـــثُ سَـــلَكْ
(لَبَّيْـــك إن الحمـــد لـــك)
(والملـــك لا شـــريك لـــك)

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة


الأستاذ الدكتور
فوزى محمد أمين
• ولد فى حصة الغنيمى من محافظة كفر الشيخ فى العام الميلادى ١٩٤١م.
• يعمل أستاذًا متفرغًا للأدب العربى بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية
• له عديد من الدراسات والأبحاث الأدبية.
• شارك فى كثير من المهرجانات الشعرية داخل مصر وخارجها.
• صدر له ديوان الفارس والكهف.